البابا شنوده الثالث

تأملات فى حياة داود النبى

البابا شنوده الثالث

تأملات في حياة داود النبي والملك

Contemplations on The Life Of David The Prophet & King

5th print

July 2010

Cairo

الطبعة الخامسة

يوليو ٢٠١٠

القاهرة

الكتاب : تأملات فى حياة داود النبى

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية بالقاهرة .

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست – الكاتدرائية العباسية – القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٣/٨٤٩١

I.S.B.N. 977- 5345- 72- 3



مثلث الطوبى قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

مقدمة الكتاب

فـــى تأملاتى فى العهد القديم، كان من أحب الشخصيات إلى قلبى، وأكثرها تأثيراً فى نفسى، داود النبى والملك: فى رقته وشاعريته، وفى شجاعته وبسالته، وفى نبله ومثالياته، وفـــى بعض عباراته المأثورة، وفى مزاميره وصلواته، وفى علاقته بالله وعلاقة الله به، وفى قصة حياته وما تحوى من أحداث..

وقـــد كان موضوعاً لبعض عظاتى فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة فى سنة ١٩٧٠م، وكنت أتحدث عنه بكل عواطفى وانفعالاتى وتأثرى.. وهأنذا أقدم سيرته لكم بعد ٣٣ عاماً، من واقع تلك العظات وما أضفته عليها..

أقـــدم لكم هذا الإنسان النادر ، فى مواهبه المتعددة، وفى شخصيته الجامعة للكثير من الصفات والعواطف، وفى أهم مواقفه التى سجلها له التاريخ فى شتى علاقاته الإنسانية..

وقد عرضت سيرته فى هذا الكتاب فى سبعة أبواب:

شخصـــية داود فى صباه – داود ومواجهته لجليات – داود ومطاردة شاول الملك له، مـــع مقارنة بين نبل داود وغدر شاول – داود ومحبته لأعدائه وبكائه عند موتهم – ثم ما وقع فيه هذا القديس من خطايا، وعمق توبته. وتحدث عن السنوات الأخيرة لداود، وما تم فـــيها مـــن أحـــداث جسام، منها تعيينه لسليمان ابنه خليفة لـــه. وأخيراً فصل كبير عن مزامير داود.. وبعض كلماته المأثورة.

أرجو أيها القارئ العزيز، أن يصاحبك روح الله فى قراءة هذا الكتاب..

ختام الأربعين المقدسة (أبريل ٢٠٠٣)　　　　البابا شنوده الثالث


ⲠⲒⲒⲈⲢⲞⲮⲀⲖⲦⲎⲤ
ⲆⲀⲨⲒⲆ

البَاب الأول

شخصيّة دَاوُد وَصِبَاه

داود النبى

مواهب متعددة تبدو مختلفة!

داود النبى شخصيته عجيبة، متكاملة فى صفاتها، وفى الأدوار التى قام بها فى حياته: فهو الراعى، وهو الملك المتوج، وهو رب الأسرة: الزوج والأب. وهو العازف على العود، والعابد الساهر بتلو مزاميره. وهو القائد الشجاع، وهو النبى.

✠ ✠ ✠

كانت له رقة المشاعر والموسيقى، وشجاعة وجسارة رجل الحرب.

كان شاعراً رقيقاً جداً، وموسيقياً. يقول الشعر على المزمار، ويعزف على القيثار، وعلى العشرة الأوتار. ويحسن الضرب على العود (١صم١٦: ١٦، ٢٣) .

وفى نفس الوقت كان رجلاً من رجال السيف، يقود الجيش ويحارب وينتصر. وكان جبار بأس (١صم١٦: ١٨)، استطاع أن يقف أمام جليات، ويهزمه بحصاه من مقلاعه. وله الجسارة التى يقطع بها رأس ذلك الجبار. فتهتف النسوة معجبات بانتصاره (١صم١٨ : ٧).

✠ ✠ ✠

كان طيب القلب جداً، وحازماً وعنيفاً فى مناسبات أخرى.

كان مملوءاً بالعاطفة الرقيقة، كما يظهر فى صداقته مع يوناثان، وقوله فى رثائه "قد تضايقت عليك يا أخى يوناثان. كنت حلواً لى جداً. محبتك لى أعجب من محبة النساء" (٢ صم١: ٢٦).

وعلى الجانب الآخر كان حازماً جداً وعنيفاً، كما يبدو من موقفه تجاه نابال الكرملى. إذ قال داود لرجاله "ليتقلد كل واحد منكم سيفه"، وتقلد هو أيضاً سيفه. وقال "هكذا يصنع الله

لداود وهكذا يزيد، إن أبقيت من كل ماله إلى الصباح بائلا بحائط" (١صم٢٥: ١٣، ٢٢).

✠ ✠ ✠

كان يتصف بالبساطة، وأيضاً بالهيبة .

له البساطة التي يرقص بها أمام تابوت عهد الله، فرحاً بالرب (٢صم٦: ١٦). كما كانت له الهيبة التي يجلس بها على العرش، ويسجد كثيرون عند قدميه. قيل عن ناثان النبى إنه "دخل إلى أمام الملك (داود) وسجد للملك على وجهه إلى الأرض" (١مل١: ٢٣). وسجد له أرونة اليبوسى (٢صم٢٤: ٢٠). وسجد له أخيمعص بن صادوق الكاهن (٢صم ١٨: ٢٢). وسجدت له إيبجايل (١صم ٢٥: ٢٣). وسجد له مفيبوشت بن يوناثان (٢صم ٩: ٦، ٨). وسجدت له زوجته بثشبع (١مل١: ١٦، ٣١).. وآخرون. وكانوا ينادونه "سيدى".

✠ ✠ ✠

كانت له أوقات فرح، وأوقات بكاء .

كان يفرح بالرب. وما أكثر عبارات الفرح والإبتهاج فى مزاميره. يقول "أحمد الرب بكل قلبى. أحدّث بجميع عجائبك. أفرح وأبتهج بك. أرنم لإسمك أيها العلى" (مز٩: ١، ٢). "أما أنا فعلى الرب توكلت. أبتهج وأفرح برحمتك" (مز٣١: ٦، ٧). "أغنى للرب فى حياتى. أرنم لإلهى مادمت موجوداً. فيلذ له نشيدى، وأنا أفرح بالرب" (مز١٠٤: ٣٣، ٣٤). "أما نفسى فتفرح بالرب وتبتهج بخلاصه" (مز٣٥: ٩). ويقول أيضاً " فرحت بالقائلين لى: إلى بيت الرب نذهب " (مز١٢٣: ١).

وإلى جوار ذلك يقول فى المزمور السادس " تعبت فى تنهدى. أعوّم فى كل ليلة سريرى. بدموعى أبل فراشى" (مز٦: ٦). ويقول أيضاً " صارت دموعى لى خبزاً، نهاراً وليلاً " (مز٤٢: ٣) " قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابى بالدموع " (مز١٠٢: ٩). ويقول للرب "أصغِ إلى صراخى. لا تسكت عن دموعى" (مز٣٩: ١٢).

✠ ✠ ✠

داود له حنو الأب، وله حزم الزوج .

حنو الأب الذى بكى على أبشالوم إبنه الخائن لما سمع بموته. فكان يبكى ويقول "يا إبنى أبشالوم يا إبنى، يا إبنى أبشالوم. ليتنى مت عوضاً عنك يا أبشالوم إبنى، يا إبنى" (٢صم١٨: ٣٣) .

وكان له الحزم الذى ردّ به على زوجته ميكال التى وبخته على رقصه أمام التابوت.

فقال لها " إنما أمام الرب الذى أختارنى دون أبيكِ ودون كل بيته، ليقيمنى رئيساً على شعب الرب إسرائيل، فلعبت أمام الرب. وإنى أتصاغر دون ذلك .. وأما عند الإماء التى ذكرتِ فأتمجد" (٢صم٦: ٢١، ٢٢).

✠ ✠ ✠

له الوداعة والإتضاع. وله العزة والجبروت .

الوداعة التى يقول فيها المزمور "اذكر يارب داود وكل دعته.." (مز١٣٢: ١)، والتى كان بها يخرج ويدخل أمام الشعب، وهو قائد للجيش، فأحبوه (١صم١٨: ١٦) .

وكان له التواضع، إذ وهو ممسوح ملكاً يقول لشاول الملك "وراء من أنت مطارد؟! وراء كلب ميت، وراء برغوث واحد" (١صم٢٤: ١٤). وكرر نفس الوصف فى (١صم ٢٦: ٢٠). وقبل ذلك لما أرسل شاول عبيده ليتكلموا مع داود فى شأن مصاهرته، ردّ عليهم قائلاً "هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك، وأنا رجل مسكين وحقير؟!" (١صم ١٨: ٢٣).

أما عن العزة والجبروت، فتظهر فى حديثه مع جليات الجبار بقوله "اليوم يحبسك الرب فى يدى، فأقتلك" "أنت تأتى إلىّ بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود" (١صم١٧: ٤٦، ٤٥) وكذلك قول داود لشاول الملك "قتل عبدك الأسد والدب جميعاً. وهذا الأغلف يكون كواحد منهما" (١صم١٧: ٣٦). وقوله أيضاً للملك لا يسقط قلب أحد بسببه. عبدك يذهب ويحاربه (١صم١٧: ٣٢).

✠ ✠ ✠

والجميل أيضاً فى حياة داود، إنه – على الرغم من مسحته- كان إنساناً طبيعياً مثلنا.

إنسان يخطئ كما نخطئ، ويتوب مثلما نتوب.. ! هو قمة عالية فى القداسة والحكمة. ولكنه أيضاً يمكن أن ينفعل ويعزم على الإنتقام، وتوبخه إمرأة مثل أبيجايل وتمنعه عن الإنتقام لنفسه، حتى يقول لها "مبارك عقلك، ومباركة أنتِ، لأنك منعتنى من إتيان الدماء وإنتقام يدى لنفسى" (١صم٢٥: ٣٣) .

ومعروفة خطيئته مع بثشبع، وتدابيره لقتل زوجها أوريا الحثى (٢صم ١١). ومعروفة أيضاً توبة داود العميقة، وإنسحاق قلبه بسبب هذه الخطيئة، وقبول الله لتوبته (٢صم١٢: ١٣).

✠ ✠ ✠

إنه إنسان رضى الرب عليه جداً. وهو أيضاً إنسان عاقبه الرب.

إنسان أختاره الرب ملكا، وصار مسيحاً للرب، "وحل عليه روح الرب من ذلك اليوم فصاعداً" (اصم١٦: ١٣). وقيل إن قلبه كان كاملاً مع الرب (امل١١: ٤). ومن أجل داود تراءف الرب على سليمان إبنه (امل١١: ١١-١٣).. بل أكثر من هذا أتى السيد المسيح من نسله. وقيل فى سلسلة أنسابه " يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم" (مت١:١)

وفى نفس الوقت عاقب الرب داود أكثر من مرة. وقال له ناثان النبى- من فم الرب- "والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد.." (٢صم١٢: ١٠). ومنعه الرب من بناء الهيكل (امل ٢٢: ٨).

والآن لندخل فى تفاصيل حياة داود .

الـراعى الشجـاع

قصة داود النبى، تبدأ بعمله، كصبى صغير "كان غلاماً أشقر جميل المنظر" (اصم١٧ : ٤٢). وتكرر وصفه بالجمال فى (اصم١٦: ١٨). وقيل عنه أيضاً إنه "كان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر" (اصم١٦: ١٢) .

وما أكثر رجال الرب الذين وصفوا بالجمال .

قيل عن يوسف الصديق إنه كان " حسن المنظر " (تك٣٩: ٦) "وكان الرب مع يوسف، فكان رجلاً ناجحاً.. وكل ما كان يصنع، كان الرب ينجحه بيده " (تك٣٩: ٢، ٣).

وقيل عن موسى "ولد موسى وكان جميلاً جداً" (أع٧: ٢٠)(عب١١: ٢٣) (خر٢: ٢). وكان الرب مع موسى حتى قال عنه "هو أمين فى كل بيتى. فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه"(عد١٢: ٧، ٨)

وهكذا قيل أيضاً عن داود إنه كان جميلاً. وقيل أيضاً " وكان داود مفلحاً فى جميع طرقه، والرب معه" (اصم ١٨: ١٤). الكنيسة قيل عنها أيضاً فى سفر النشيد إنها جميلة (نش ٤: ١).

✠ ✠ ✠

وأيضاً ما أكثر الذين أعدّهم الله لخدمته، برعى الغنم .

من أمثلتهم موسى النبى. كان رجلاً من كبار رجال البلاط عند فرعون، وكان قائداً جباراً وقوياً. ولكن غيرته المقدسة صحبتها القسوة، فقتل إنساناً (خر ٢: ١٢). وحينئذ

أخذه الرب إلى مديان، ودرّبه على الهدوء والحنو، برعى الغنم. ثم استخدمه الله بعد ذلك وائتمنه على رعاية شعبه.

✠ ✠ ✠

موسى تدرب أربعين سنة فى رعى الغنم. أما داود فلم تلزمه مدة طويلة مثل هذه .

ذلك لأنه كان يرعى الغنم منذ صباه. ولعل أسعد الأغنام كانت غنم داود، التى كان يرعاها وهو يغنى بمزماره. فتتمتع برعايته وموسيقاه وأغانيه. وهكذا فيما بعد حينما كبر، إستطاع أن يلقّب الله بالراعى. وقال "الرب يرعانى فلا يعوزنى شئ. فى مراع خضر يربضنى. إلى ماء الراحة يوردنى. يرد نفسى. يهدينى إلى سبل البر" (مز٢٣). لقد أخذ هذه الأوصاف من خبرته الروحية وخبرته الرعوية..

✠ ✠ ✠

وبقدر ما كان حنوناً على غنمه، كان أيضاً شجاعاً قوياً فى حمايتها .

إنه يصف ذلك فى حديثه مع شاول الملك، فيقول "كان عبدك يرعى لأبيه غنماً. فجاء أسد مع دب، وأخذ شاة من القطيع. فخرجت وراءه وقتلته، وأنقذتها من فيه. ولما قام علىّ، أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته. قتل عبدك الأسد والدب جميعاً" (١صم١٧: ٣٤-٣٦) .

إنى أعجب من هذا الفتى الصغير الجميل، كيف أنه لم يخف من الأسد والدب، ولم يهرب بل واجههما، وأنقذ الشاة من فم الأسد. وكان قوياً بحيث قتلهما، ولم يكن لديه سلاح. إنه يذكرنا بالرب "الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف " (يو١٠: ١١).

هنا القلب المملوء بالحب والبذل، الذى يختاره الرب لرعاية شعبه، والإهتمام بهم. الذى يشفق على الشاة، وينزعها من فم الأسد.

✠ ✠ ✠

داود يمثل النضوج المبكر، فاختاره الرب من صغره .

يذكرنى بالقديس أثناسيوس الرسولى فى نضوجه المبكر. وكيف كان وهو بعد شاب يقود المجمع المسكونى لاهوتياً. بل قبل المجمع أصدر كتابيه "تجسد الكلمة" و"الرسالة ضد الوثنيين". وكان أصغر بابا للأقباط يجلس على كرسى مارمرقس الرسول.

وقصص النضوج المبكر كثيرة، نذكر من بينها القديس تادرس تلميذ باخوميوس، والأنبا ميصائيل السائح، والقديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، والقديس الطفل أبانوب وغيرهم.

وداود أيضاً الذى كان ناضجاً فى الشعر، وفى الموسيقى والغناء، وفى الشجاعة

والجسارة، وفى الحكمة كما سنرى، وفى تواضع القلب أيضاً ...

✠ ✠ ✠

وللأسف الشديد لم ينل نضوجه تقديراً من أبيه !!

يأتى النبى العظيم صموئيل إلى بيت لحم، ويقدم ذبيحة. ويُدعى كل أبناء يسى البيتلحمى السبعة الكبار لحضور هذه المناسبة الفريدة التى ربما فى نظر أهل القرية لا تتكرر.. ولكن داود يبقى مع الغنيمات القليلات فى البرية، ويُحرم من بركة تلك المناسبة.

أهمله أبوه ونسيه. ولكن الله لم يشأ أن يهمله أو ينساه ...

وقف أخوته السبعة الكبار أمام الرب، فلم يختر واحداً منهم. وقف اليآب أمام الرب .. ولكن الله قال عنه لصموئيل النبى " لا تنظر إلى منظره وطول قامته، لأنى قد رفضته" (١صم ١٦: ٧). وعبّروا باقى الأخوة السبعة أمام الرب، وكان الحكم الإلهى على كلٍ منهم " وهذا أيضاً لم يختره الرب " (١صم ١٦: ٨، ٩، ١٠).

ما أصعب هذا الأمر : أن يقف إنسان أمام الرب، فيرفض الرب اختياره، أو يقول قد رفضته.

داود مسيح الرب

كل هذا وداود مع الغنم، والرب مع داود، نعم، الرب الذى "ينظر إلى القلب" (١صم ١٦: ٧). ويسأل صموئيل "وهل كمل الغلمان؟" ويسمع إجابة أبيهم يسى "بقى بعد الصغير، وهوذا يرعى الغنم" (١صم١٦: ١١).. بقى هذا " الحجر الذى رفضه البناءون، وسيصير رأساً للزاوية" (مز١١٨: ٢٢) ويصبح رمزاً للمسيح الملك.. فأتوا به. "ومسحه صموئيل ملكاً وسط أخوته. وحلّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً " (١صم ١٦: ١٣).

✠ ✠ ✠

هذه المسحة المقدسة لم يسعَ إليها داود، لكن هى التى سعت إليه.

حقاً "ليس لمن يشاء، ولا لمن يسعى" (رو٩: ١٦). أتته الدعوة بدون ترقب، كما أتت لأبينا إبراهيم (تك ١٢: ١). وكما أتت موسى النبى، وهو يرعى غنم حميه يثرون عند جبل حوريب (خر٣: ١- ٦). وكما دعا الرب شاول الطرسوسى وهو فى بطن أمه (غل ١: ١٥، ١٦).

✠ ✠ ✠

صار داود مسيحاً للرب، وملكاً. ولم يأخذ من الملك شيئاً !!

مسحه صموئيل، ثم قام وذهب إلى الرامة (اصم١٦: ١٤). ولم يسلمه من الملك شيئاً. وعاد داود (الملك) ليرعى الغنيمات القليلات فى البرية كما كان ..! صار ملكاً أمام الله، فى تدبير الله. أما أمام الناس، فهو مجرد الراعى الصغير ..!

وداود الوديع لم يطالب بشئ. ولم يقل لله : كيف صيرتنى ملكاً بدون مملكة ؟! بل كان لا يزال فى قلبه يعتبر أن شاول هو الملك الحقيقى، ويقول له سيدى، ويقول له عن نفسه : عبدك !

مَلك إختاره الله يخدم ملكاً رفضه الله

شاول الملك كان قد رفضه الرب. وندم الرب لأنه ملّك شاول على إسرائيل (اصم١٥ : ٣٥) ولما ناح عليه صموئيل النبى، قال له الرب " حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته" (اصم ١٦: ١). بل قيل أكثر من هذا " وفارق روح الرب شاول، وبغته روح ردئ من قِبل الرب " (اصم ١٦: ١٤). وحينما كان يضغط عليه هذا الروح الردئ، كان يهيج ويتعب ويحتاج إلى تهدئة .

وأصبح هناك ملكان : شاول المرفوض، صاحب السلطة ..

وداود المختار من الرب، ولايزال ملكاً بدون مملكة .

✠ ✠ ✠

وتزداد المأساة، فيختارون داود ليكون خادماً لشاول الذى رفضه الرب!

لتهدئة شاول –فى هياجه من الروح الردئ – احتاجوا إلى رجل يحسن الضرب على العود. وحاشية الملك شاول رشحت له داود وقالوا عنه إنه "يحسن الضرب على العود، وهو جبار بأس، ورجل حرب، وفصيح، ورجل جميل، والرب معه" (اصم١٦: ٢١) .

ولم يكن شاول يعلم أن داود قد مسحه صموئيل ملكاً، وإلا كان قتله.

وربما كان قد قتل صموئيل أيضاً. وقد شهد صموئيل بهذا فى قوله للرب "إن سمع شاول يقتلنى" (اصم١٦: ٢). على أية الحالات، ما كان شاول يعرف بمسح داود ملكاً، وما كان داود يتحدث عن هذا الأمر، ولا أحد من أسرته. واستمر يخدم شاول فى هدوء.

✠ ✠ ✠

وفى هذا الموقف، نرى مفارقات عجيبة :

داود مسيح الرب المختار من الرب، يخدم شاول المرفوض من الرب.

داود الذى حل عليه روح الرب، يخدم شاول الذى فارقه روح الرب.

داود الإنسان الروحانى، رجل المزامير والصلوات، يخدم شاول الذى بغته روح ردئ وكان يتعبه ويهيجه.

وقبل داود هذا الوضع. ربما إنسان يقول "أنا مستعد أن أخدم القديسين. ولكن لا أخدم إنساناً عليه روح ردئ. ولكن داود قبل ذلك. ولم تكن مهمة سهلة..

✠ ✠ ✠

واجتاز داود هذه العثرة: أن يرى مسيح الرب عليه شيطان.

وظل على إحترامه له طول حياته، كمسيح للرب. ولم يخاطبه إلا بعبارة سيدى..

كان داود يحترم هذه المسحة المقدسة وصاحبها، مهما كان شريراً!! إنه مثال لاحترام الكبار والمسحاء مهما كانت طباعهم رديئة. واستمر كذلك فى كل معاداة شاول له.. كان من خلقه احترام الرؤساء أياً كانوا، حتى وهو يرى شاول فى أسوأ حالاته..!

✠ ✠ ✠

ولكن كيف كان يهدئ شاول كلما بغته الروح الردئ .

هل كان ذلك بالضرب على العود؟ كما قيل "عندما جاء الروح من قبل الله على شاول، أن داود أخذ العود وضرب بيده، فكان شاول يرتاح ويطيب، ويذهب عنه الروح الردئ" (١صم١٦: ٢٣) ولكن يخيل إلىّ أن العود كان مجرد مظهر خارجى لسرّ أعمق بكثير: فما هو؟

لم يكن سرّ القوة فى العود، إنما فى داود.

إن عصا أليشع فى يد جيحزى لم تأت بنتيجة (٢مل٤: ٣١). إن قوتها تظهر حينما يمسكها أليشع، بالإيمان الذى فى قلبه. ونفس الوضع نقوله مع عود داود. كانت الأهمية فى داود نفسه الذى يضرب على العود. وأى داود نعنى؟ إنما نعنى داود الذى حلّ عليه روح الرب. وكيف نفسر ذلك؟

✠ ✠ ✠

شاول كان قد بغته روح ردئ من قِبل الرب، أى أخذ من الرب سلطاناً عليه. فمن يستطيع إذن أن ينجيه منه؟! لا يستطيع ذلك إلا شخص حل عليه روح الرب، وهو داود.

يقف داود الذى فيه روح الرب بين شاول وغضب الله عليه. يراه الروح الردئ فيهرب. ويراه الرب فيرضى ويرفع غضبه عن شاول، فيهدأ.

وحقاً قيل عن علاقة داود بشاول إنه كان له "حامل سلاح" (١صم١٦: ٢١).

كان له حامل سلاح الروح الذى يهرب منه الروح الردئ.

شاول الملك لما فارقه روح الله، أصبح شخصاً ضعيفاً يقوى عليه الروح الردئ. فارقته قوة المسحة. وأصبح مسيحاً للرب بلا مسحة!!

✠ ✠ ✠

كان شاول ملكاً بلا مسحة، بينما كان داود مسيحاً بلا مُلك.

كان له المظهر الخارجى كملك. ولكن الله ليس معه. أما داود فكان الله معه، وأمام الله كان هو الملك الحقيقى المختار من الله. إنما ليس له المظهر الخارجى للملك. كان يكفيه من الملك أن يملك الله على قلبه. أما شاول فكان ملكاً على الشعب، ولا علاقة له بملكوت الله.

كان شاول كمدينة غير محصنة، بلا أسوار، بلا حاميات تحميها. مدينة مكشوفة يمكن أن يكون للشيطان سلطان عليها.. سورها الوحيد كان داود..

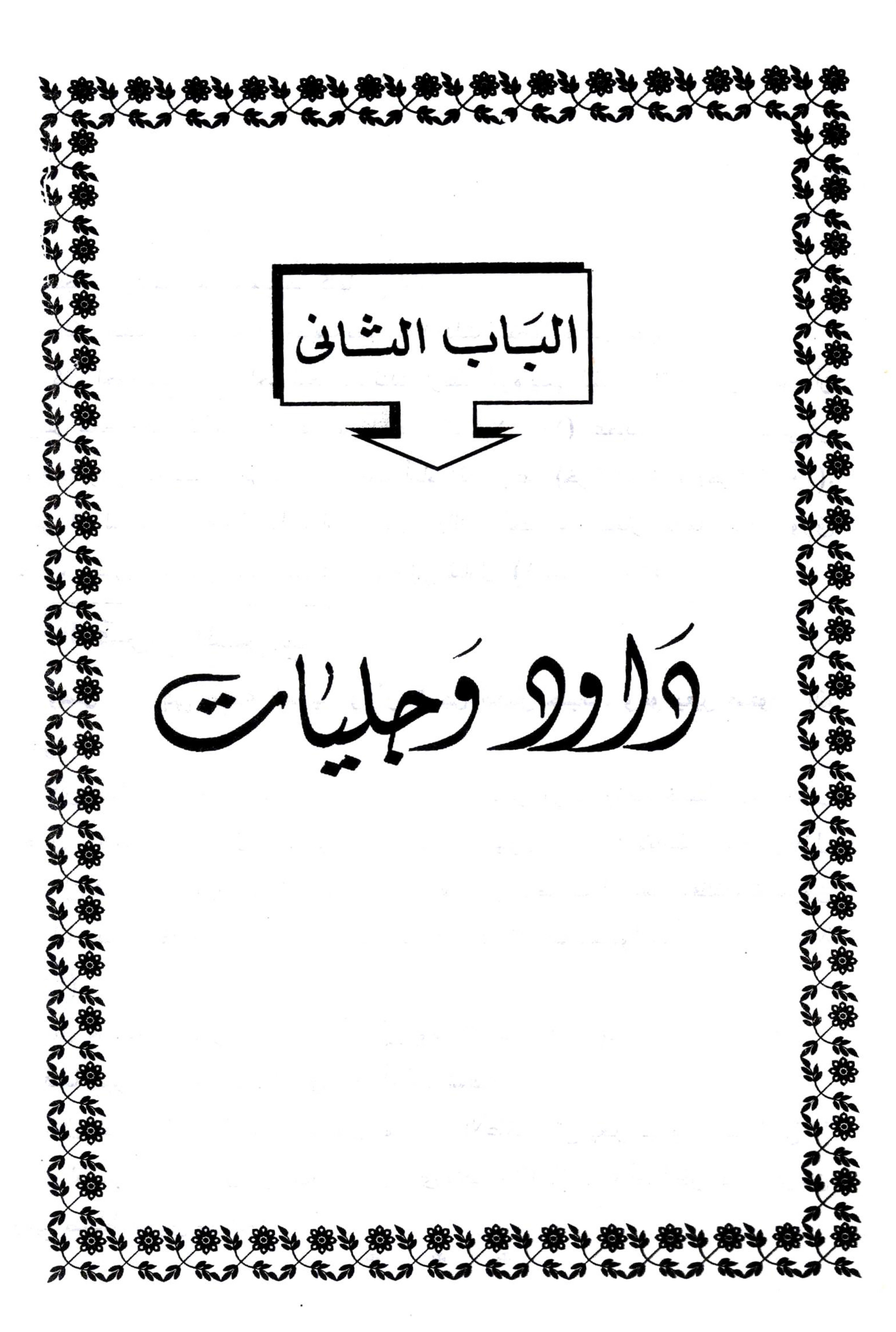
✠ ✠ ✠

فى ذلك الوقت أحب شاول داود .

قيل إنه "أحبه جداً" "وأرسل شاول إلى يسى يقول له: ليقف داود أمامى لأنه وجد نعمة فى عينىّ" (١صم١٦: ٢٢) .

كان قلب شاول وقتذاك صافياً من جهة داود. إذن متى تغير قلبه من نحوه؟ حدث ذلك حينما هتفت النسوة لداود بعد انتصاره على جليات، بأسلوب فضلنه فيه على شاول، فدخل الحسد فى قلب شاول (١صم ١٨: ٧ - ٩).

وبالحسد دخل شاول فى صراع مع داود. " وصار شاول عدواً لداود كل الأيام " (١ صم١٨: ٢٩) .


البَاب الثَانى
دَاود وَجليات

نجاح داود كان سبب متاعبه كلها مع شاول.

ولكن كيف بدأت القصة؟ وكيف تطورت؟ بدأت بانتصاره على جليات:

كان أخوة داود فى ساحة الحرب. لذلك أرسله أبوه يسى ليفتقد سلامتهم. ولم ينسَ أن يرسل معه بعض الطعام هدية لرئيس الألف (١صم١٧: ١٨). عجيب هذا الرجل يسى فى هداياه، وفى أنه حسب الوصية "لا يقف أمام الله فارغاً" (خر٢٣: ١٥) (خر٣٤: ٢٠). حتى أنه لما سبق وأرسل داود إلى شاول الملك " أخذ يسى حماراً حاملاً خبزاً، وزق خمر، وجدى ماعز، وأرسلها بيد داود إبنه إلى شاول" (١صم١٦: ٢٠) .

الحَـرب للـرَبّ

وصل داود إلى ساحة الحرب، ورأى الرجل الجبار جليات، وهو يعير صفوف الله الحى.

كان منظره مخيفاً: طوله ستة أذرع وشبر. ويلبس درعاً وزنه خمسة آلاف شاقل نحاس. وقناة رمحه كنول النساجين. وهو يتحدى ويقول "اختاروا لأنفسكم رجلاً ولينزل إلىّ. إن قدر أن يحاربنى ويقتلنى نصير لكم عبيداً. وإن قدرت أنا عليه وقتلته، تصيرون أنتم لنا عبيداً وتخدموننا. وقد إرتاع أمامه شاول وكل الشعب وخافوا جداً " (١صم١٧: ٨ - ١١).

ظل هذا الجبار يعيّر الجيش كله أربعين يوماً (١صم١٧: ١٦).

فلما ظهر داود، إنتهت الأربعون يوماً، أيام التعيير.

الكل خافوا ما عدا داود، الذى قال "من هذا الأغلف حتى يعير صفوف الله الحىّ ؟! ولعل البعض كان يتساءل من هذا الصبى الذى يتكلم هكذا بثقة وجرأة. أيظن أنه أقوى من جميع ضباط الجيش وقواته؟!

✠ ✠ ✠

أما جرأة داود فكان سببها ثقته بأن "الحرب للرب" (١صم١٧: ٤٧).

وهذه الثقة كانت لها خبرة عملية له مع الله، حينما غلب الأسد والدب، لذلك قال فى ثقة " الرب الذى أنقذنى من يد الأسد، ومن يد الدب هو أيضاً ينقذنى.." (١صم١٧: ٣٧). لذلك فإنه لم ينظر إلى قوة جليات، إنما إلى قوة الله الذى سوف يدفعه إلى يده .. وهكذا كان داود هو الوحيد فىساحة الحرب الذى لم يخف.

وبوصول داود إلى المحلة، أدخل فيها إسم الله.

كان كل الناس يتحدثون عن "هذا الرجل الصاعد" ويكون أن الرجل الذى يقتله، يغنيه الملك غنى جزيلاً، ويعطيه ابنته، ويجعل بيت أبيه حراً" (٢صم١٧: ٢٥).. أما داود فلم يفكر فى كل هذا. فهو مستعد أن يحارب الرجل ليس بسبب مكافأة مادية تعطى له، إنما بسبب الغيرة المقدسة التى تشتعل فى قلبه .

✠ ✠ ✠

اليآب

وسمعه أخوه أليآب يتحدث مع الرجل عن قتل جليات " فحمى غضب اليآب على داود، وقال له "لماذا نزلت؟ وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة فى البرية. أنا علمت كبرياءك وشرّ قلبك، لأنك إنما نزلت لكى ترى الحرب" (٢صم١٧: ٢٨) .

✠ ✠ ✠

عجيب أليآب هذا الذى رفضه الرب (١صم١٦: ٦، ٧) .

وعجيبة هى إتهاماته الباطلة لداود .

أليآب كان ضمن الجنود الخائفين من جليات، الذين تلقوا تهديداته وتعييراته فى صمت وخوف. وهو الآن يتهم داود، الذى وقف يتكلم فى غيرة مقدسة، وفى جرأة وبغير خوف! وبكل جرأة يشتم أليآب داود ويقول له " أنا عرفت كبرياءك وشرّ قلبك !! " .

كل هم أليآب فى الغنيمات القليلة، وقد حمى غضبه بسبب ذلك، وليس بسبب تعيير صفوف الله. والعجيب أنه غضب على داود، ولم يغضب على جليات. حقاً كما قال الشاعر "أسد علىّ، وفى الحروب نعامة!!".

✠ ✠ ✠

حقاً، إن الذين لا يعملون، هم أكثر الناس نقداً للذين يعملون.

اليآب الذى لم يجرؤ أن يقبل تحدى جليات، ويخرج لينازله، ينتقد داود ويتهمه وينتهره

بسبب شجاعته وقبوله تحدى جليات. ويقول له "أنا علمت كبرياءك وشرّ قلبك" ويقيناً إنه لا يعلم شيئاً عن قلب داود. فقلب داود يعلمه الله، ويعلم أنه قدس أقداس للرب..

ويقول له اليآب أيضاً "إنما نزلت لكى ترى الحرب"!! ما هى هذه الحرب التى يراها داود. لا توجد أمامه حرب. إنما جبار يتحدى، وجيش خائف ساكت، وملك مرتاع !!

✠ ✠ ✠

أهذه هى الحرب التى يتهم داود بأنه جاء ليراها. أم الحرب التى جاء داود ليصنعها؟!

أم أن أليآب كان فى خجل من العار الذى هم فيه جميعاً. العار الذى جاء داود لكى يرفعه عنهم جميعاً..! حقاً، إننا لم نكن نعرف لماذا رفض الله اليآب. والآن كشف الله بعضاً من شخصية أليآب المرفوض، ومع المقارنة أظهر جزءاً من شخصية داود الذى أختاره الرب، وفضّله على باقى إخوته، الخائفين مع أليآب فى ساحة الحرب.

لا يخاف

داود كان فتى شجاعاً لا يخاف .

ولما أوصلوه إلى الملك، قال داود للملك "لا يسقط قلب أحد بسببه. عبدك يذهب ويحاربه" (١صم١٧: ٣٢).. عبارة عجيبة، يقولها فتى صغير جرئ، لملك وقائد خائف. فلما قال له الملك "لا تستطيع أن تذهب لتحاربه، لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه".

حينئذ بدأ داود يحكى خبرته الروحية فى عمل الله معه .

فقال " كان عبدك يرعى لأبيه غنماً. فجاء أسد مع دب، وأخذ شاه من القطيع. فخرجت وراءه وقتلته، وانقذتها من فيه. ولما قام علىّ، أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته... قتل عبدك الأسد والدب جميعاً. وهذا الأغلف يكون كواحد منهما " (١صم١٧: ٣٤- ٣٦).

✠ ✠ ✠

نلاحظ هنا أنه يكلم الملك الخائف فى أدب جم .

فيقول له " عبدك يذهب ويحاربه " " عبدك كان يرعى غنماً لأبيه" كما يحكى أن الله هو الذى أنقذه من الأسد والدب، والله هو الذى سينقذه من جليات ... ولاشك أن إدخال إسم الله فى الحرب، هو الذى يغرس الإيمان والقوة فى القلوب ...

داود لم يلبس سلاح الحرب، لأنه كان يلبس سلاح الله .

لم يكن متعوداً على تلك الأسلحة، كراعٍ للغنم. ولم يرد أن ينسب الإنتصار إلى قوة السلاح، بل إلى قوة الله. لذلك لما التقى بجليات الجبار، قال له "أنت تأتى إلىّ بسيف ورمح. وأنا آتى إليك باسم رب الجنود" (١صم١٧: ٤٥) .

✠ ✠ ✠

لم يكن اللقاء بين جبار وغلام، بل بين إثنين من الجبابرة .

أحدهما جبار من جبابرة الحرب، والثانى جبار من جبابرة الإيمان. لم يخف داود من جليات، لأنه لم يخف من الأسد فى البرية. لم يجرِ منه بل جرى وراءه وأمسكه وقتله، وأنقذ الشاة من فمه!! تصوروا طفلاً، وفى الصحراء، يجرى وراء أسد مفترس، لينتزع الفريسة من فمه! أى قلب هذا ؟!

لقد اختبر فى معركته مع الأسد والدب، أن الله معه يقويه ..

✠ ✠ ✠

لذلك قال فى مزموره، مزمور الراعى "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز٢٣) .

وقال فى مزمور آخر "إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى. وإن قام علىّ قتال، ففى هذا أنا مطمئن" (مز٢٧: ٣) .

لذلك كان يتعزى فيما بعد بقول المزمور " يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات. أما أنت فلا يقتربون إليك، بل بعينيك تنظر مجازاة الأشرار " (مز٩١: ٧، ٨) .

إنه يذكرنى بالقديس أغناطيوس الأنطاكى، الذى لم يكن حامل سلاح، وإنما كان " حامل الله " .

لذلك لقبوه أغناطيوس الثيئوفورس أى حامل الله .

وهكذا قيل عن داود إنه (جبار بأس) منذ طفولته (١صم١٦: ١٨). كما كان دانيال النبى جبار بأس، إذ ألقى فى جب الأسود (دا٦). وحسن أن الله قد اختار لخدمته جبابرة كهؤلاء .

معركة إيمان

خرج داود لملاقاة جليات الجبار، وليس معه سوى مقلاعه. وقد "انتخب له خمس حصوات ملس من الوادى (١صم١٧: ٤٠).

ما هذا يا داود، أخرجت لتصطاد عصافير أم لتلاقى جبار الحرب جليات الذى يتحدى الجيش كله ويعيّره؟! ولكن داود يتعزى بقول الكتاب " ليس للرب مانع أن يخلص بالكثير أو بالقليل" (١صم١٤: ٦).

وهكذا قال داود لجليات "الحرب للرب، وهو يدفعكم ليدنا" "اليوم يحبسك الرب فى يدى.." (١صم١٧: ٤٧، ٤٦) .

حقاً كانت حرباً بين الإيمان يمثله داود، والطاقات البشرية والمادية يمثلها جليات. وقد انتصر الإيمان بحصاة داود..

✠ ✠ ✠

ولكنى أحياناً أعاتب نبى الله داود. وأقول له : لماذا اخذت خمس حصوات. كانت واحدة منها تكفى ...

لعله احتفظ بالباقى كذكرى لهذا الإنتصار العجيب ..

أو لعل الله قال عن معركته مع جليات : لست أحتاج منك إلى كل هذا. تكفى واحدة. إنها مثل حبة الخردل، وهى أصغر البذور. ولكن يشبه بها ملكوت السموات (مت١٣: ٣١ ، ٣٢) .

✠ ✠ ✠

تقدم هذا الطفل الأشقر مع حلاوة فى العينين إلى جليات فاحتقره، لأنه لم يكن يدرى الإيمان الكبير الذى فى قلبه، ولم يكن يرى قوة الله العاملة معه .

أما داود، فلأنه كان يرى الرب أمامه كل حين، احتقر جليات وقوته .

وأسرع إلى الصف، وضربه بمقلاعه، فارتكز الحجر فى جبهته وسقط الجبار إلى الأرض. وأسرع داود فأخذ سيف جليات وقطع به رأسه. وانتصر الجيش بانتصار داود. أما هدف داود فكان " لكى تعلم كل الأرض أنه يوجد إله .. " (١صم١٧: ٤٦) .

✠ ✠ ✠

العجيب أن شاول الملك لما رأى داود يتقدم لمقاتلة جليات، سأل:

"إبن من هذا الغلام ؟ " (١صم١٧ : ٥٥) .

سأل عنه رئيس الجيش (إبنير) فقال له : لست أعلم .

ولما حضر داود - ومعه رأس جليات - لمقابلة شاول الملك سأله "ابن من أنت ياغلام؟" فأجابه داود "إبن عبدك يسى البيتلحمى".

أجابه في وداعة، ولم يقل له: أنا الذى كنت لك حامل سلاح وكنت أضرب لك على العود، لتهدأ من اقتحام الروح النجس لك.. ولم يقل له أنا الذى قابلتنى قبل المعركة وحاولت أن تلبسنى ملابس الحرب فاعتذرت عنها، وأنا الذى قلت لك " لا يسقط قلب أحد بسببه"..

بل أجاب داود بكل وداعة وإتضاع "أنا ابن عبدك يسى البيتلحمى". " فأخذه شاول من ذلك اليوم، ولم يدعه يرجع إلى بيت أبيه " (١صم١٨: ٢).

ومنذ ذلك الحين تعلقت به نفس يوناثان بن شاول، لأنه أحبه كنفسه. وقطع الإثنان عهداً بينهما.

متاعب الانتصار

كان إنتصار داود سبب مجد له فى أعين الشعب. ولكنه كان سبب تعب له فى قصر الملك، وبداية مشاكل عديدة .

وكان أيضاً من أسباب متاعب داود إنه كان محبوباً، وكان ناجحاً فى كل عمله، وكان الله معه !!

✠ ✠ ✠

فإن أصابك تعب فى حياتك بسبب نجاحك، لا تتضايق .

أحياناً هذا النجاح يسبب حسد الآخرين وغيرتهم، فيتعبونك. ولكن يعزيك قول المزمور "كثيرة هى أحزان الصديقين. ومن جميعها ينجيهم الرب" (مز٣٤: ١٩) .

هابيل حسده أخوه لبره، وقبول الرب لذبيحته (تك٤: ٥).

ويوسف الصديق حسده أخوته لمحبة أبيه له، وبسبب أحلامه التى أعلن فيها الله ما سوف يمنحه من أمجاد .

لذلك فإن الناجحين يحتاجون إلى صلوات أكثر من الفاشلين .

بسبب حسد الناس لهم. وبالأكثر بسبب حسد الشياطين. وربما أيضاً لأن النجاح قد يرفع القلب من الداخل ...

إن الشيطان لا يحتمل أن يرى شخصاً ناجحاً. لذلك قد يحاربه من الخارج ومن الداخل أيضاً .

ضحية المديح

على أن السبب المباشر لبدء متاعب داود، كان مديح النساء. أولئك اللائى " خرجن فى جميع المدن بالغناء والرقص للقاء شاول الملك، بدفوف وفرح قائلات : ضرب شاول ألوفه، وداود ربواته " (١صم١٨: ٦، ٧). فأعطين شاول الألوف، وداود عشرات الألوف.

ولم تضع النساء أمامهن نتيجة هذا المديح، وأثره فى قلب شاول.

وصار داود ضحية لهذا المديح، إذ تغير قلب شاول من جهته.

فى بادئ الأمر - قبل حرب جليات - قيل إن شاول " أحبه جداً. وكان له حامل سلاح. فأرسل شاول إلى يسى يقول له : ليقف داود أمامى، لأنه وجد نعمة فى عينىّ " (١ صم١٦: ٢١، ٢٢) .

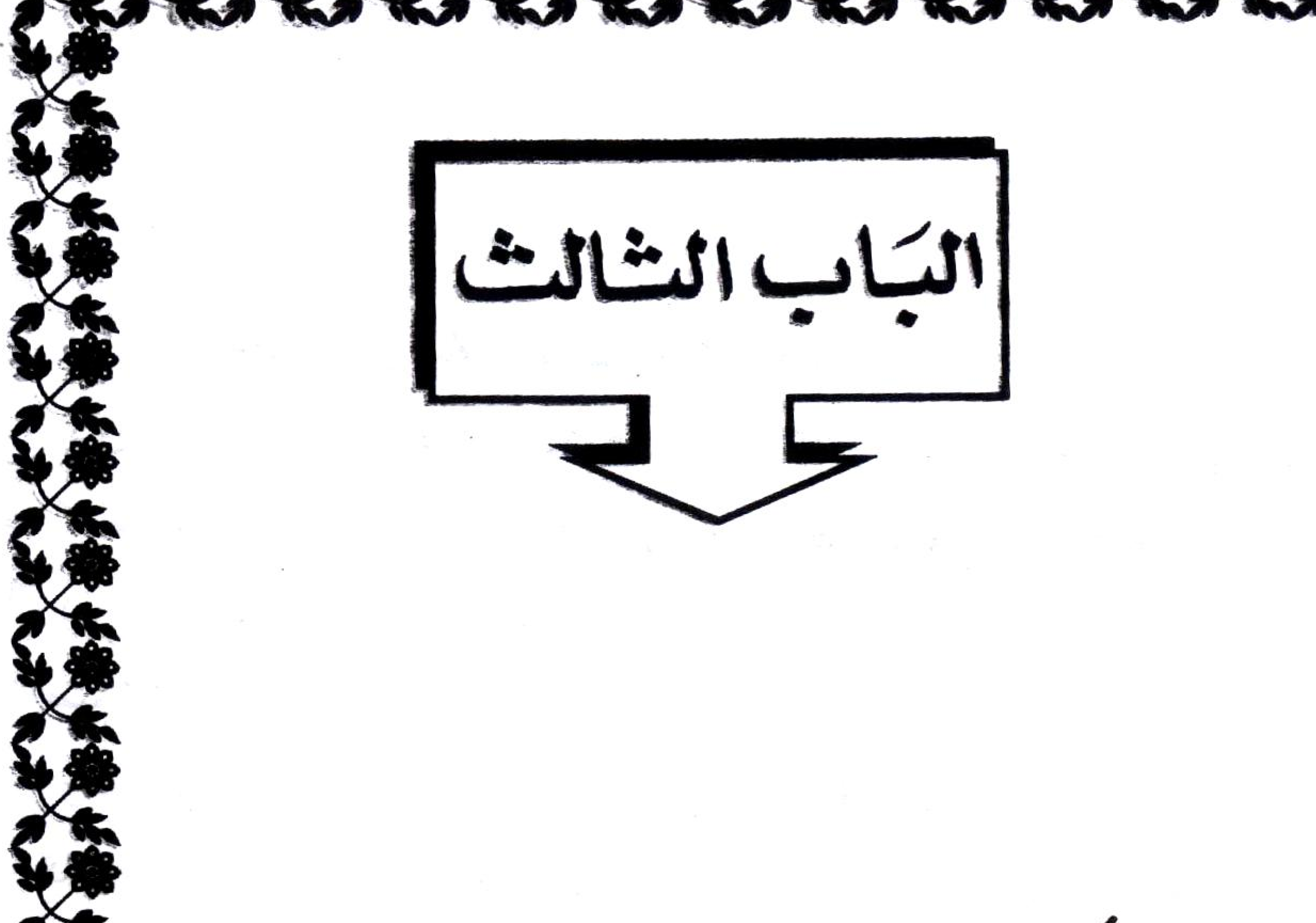
وحتى بعد الإنتصار - وقبل غناء النساء - كان الحب لا يزال موجوداً. كان داود ينجح فى كل مهمة يرسله إليها شاول "فجعله شاول على رجال الحرب، وحسن فى أعين جميع الشعب" (١صم١٨: ٥).

✠ ✠ ✠

كل ذلك الحب لأن الحسد لم يكن قد دخل بعد إلى قلب شاول .

أما بعد غناء النسوة ومدحهن لداود أكثر من شاول، دخل الحسد إلى قلب شاول من جهة داود. فكان " يعاين داود من ذلك اليوم فصاعداً (١صم١٨: ٩). ويحاول قتله .

وبدات قصة صراع طويلة سببت لداود متاعب مرعبة .



الباب الثالث

داود البرئ فى بوتقة شاول

بدأ داود علاقته مع شاول كمصدر بركة له .

كان هو الشخص الذى يحميه من الروح الردئ، يعزف له على عوده ويهدئه. وكان له "حامل سلاح" (١صم١٦: ٢١). "كان عندما جاء الروح الردئ من قبل الله على شاول، أن داود أخذ العود وضرب بيده، فكان يرتاح شاول ويطيب، ويذهب عنه الروح الردئ " (١صم١٦: ٢٣).

وكان له سبب بركة من ناحية أخرى، أنه أنقذه من جليات وتعييره وتهديده.. وكان بركة له أيضاً فى تنفيذ كل أوامره بنجاح. وفى هذا يقول الكتاب " وكان داود يخرج إلى حيثما أرسله شاول. كان يفلح. فجعله شاول على رجال الحرب" (١صم١٨: ٥).

إذن كيف انقلب الموقف ومتى؟ من بركة إلى حسد ..

☩ ☩ ☩

نتائج الحسد

انقلب الموقف بعد هتاف النساء لداود، ودخول الحسد قلب شاول.

وصار كل عمل حسن يعمله داود، سبب ضيق وحزن لشاول!!

قد يوجد إنسان يتعبه رئيسه بسبب فشله. أما داود، فإنه بسبب نجاحه كان يتعبه رئيسه. " كان داود مفلحاً فى جميع طرقه، والرب معه. فلما رأى شاول أنه مفلح جداً، فزع منه " (١صم١٨: ١٥). "وكان شاول يخاف داود، لأن الرب معه، بينما فارق شاول. فأبعده شاول عنه، وجعله رئيس ألف" (١صم١٨: ١٢، ١٣). وكان داود محبوباً جداً من الجميع، وهذا أيضاً أتعب شاول. فماذا يفعل داود المسكين ليرضى شاول الذى يتعبه نجاح داود، ومحبة الناس له، وكون الرب معه ؟! حقاً كما قال الشاعر :

إذا كانت فضائلى اللائى أتيه بها عُدّت ذنوباً، فقل لى كيف أعتذر ؟!

☩ ☩ ☩

أصبح داود لا يستطيع أن يرضى شاول، لأن تعب شاول كان من داخله بسبب الحسد والغيرة .

هنا ونتذكر أنه فى بعض الأوقات لا يستطيع الإنسان أن يصطلح مع جميع الناس ... وفى مثل هذه الحالة يمكنه أن يتناول من الأسرار المقدسة، مادامت خصومتهم له بسبب شرهم هم، وليس لخطأ منه ...

✠ ✠ ✠

فى بادئ الأمر كان شاول يخفى حقده، ويلجأ إلى طرق ماكرة للتخلص من داود !!

لم يرد أن تكون يده عليه، إنما يصدره إلى الحرب فيموت (١صم١٨: ١٧). ولم تفلح هذه الطريقة، إذ كان داود شجاعاً جداً، ومنتصراً ...

ولجأ شاول إلى طريقة أخرى تبدو فى ظاهرها علامة حب، والمقصود بها موت داود، فعرض أن يصاهره، وكلّم عبيده أن يعرضوا الأمر على داود، الذى قابل ذلك بإتضاع وقال لهم " هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك، وأنا رجل مسكين وحقير؟!" (١صم١٨: ٢٣) .

"ميكال إبنة شاول أحبت داود. فقال شاول أعطيه أياها، فتكون له شركاً" (١صم١٨: ٢٠، ٢١) .

✠ ✠ ✠

عجيب ذلك الزواج الذى يقصد به شاول ضرراً لمن يزوجه إبنته!! فى الظاهر يحقق رغبة إبنته، ويرفع من شأن داود فيصير صهر الملك. أما فى القلب من الداخل فكانت الكراهية والحقد، والنية السيئة، إذ طلب أن يكون المهر قتل مائة من الأعداء، من جيش جليات. وقبل داود، وخرج إلى الحرب فقتل مائتين (١صم١٨: ٢٥ - ٢٧).

✠ ✠ ✠

"فرأى شاول وعلم أن الرب مع داود". فهل احترس وخاف من داود مادام الرب معه؟! كلا. بل يقول الكتاب "وعاد شاول يخاف داود بعد. وصار شاول عدواً لداود كل الأيام" (١صم١٨: ٢٨، ٢٩).

وهنا بدا كما لو كان شاول يقاوم الله نفسه .

مادام روح الله قد فارقه، فما كنا ننتظر منه سوى هذا. ومادام الروح الردئ يبغته، والحسد يتعب قلبه. فقد كانت هاتان القوتان هما اللتان تحركانه. لقد صار أسيراً للشر الذى يوجد داخل قلبه ...

كانت خطيئة شاول تقوده من شر إلى شر أشد منه .

فى بادئ الأمر كانت تتعبه الغيرة والحسد. فلما استسلم لهما، تحولا فى داخله إلى كراهية وحقد. ثم إلى محاولة سرية وماكرة لقتل داود الذى لم يسء إليه فى شئ ..

ثم إذا بالخطية التى فى داخل القلب، تعلن عن نفسها بلا خجل وبلا خوف !!

فبدأ شاول يصرح لمن هم حوله برغبته فى قتل داود، دون أن يقدم تبريراً لذلك. وأخذ يحرضهم على قتل داود، أى أنه دخل فى مرحلة أخرى من الخطية، وهى أن يشرك الغير معه فى شرّه، ويصير عثرة لهم فى الخلق وفى التصرف. وفى ذلك يقول الكتاب: "وكلّم شاول يوناثان إبنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود" (١صم١٩: ١).

يوناثان النبيل

وهنا نرى مثلاً عملياً لحدود وصية "أكرم أباك وأمك " .

يوناثان ابن شاول الذى يمثل النبل والوفاء فى قصة داود، والذى أحب داود حباً عملياً وعقد عهداً معه .. يوناثان هذا لم يعجبه تصرف أبيه. وعلمنا عملياً أنه " ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس "(أع ٥: ٢٩). فعمل على إنقاذ داود من شرّ شاول أبيه، وكشف له تآمر أبيه عليه ونصحه بالإختباء (١صم١٩: ٢) .

✠ ✠ ✠

ولم يكتف يوناثان بعدم طاعة أبيه فى أرتكاب خطية، وإنما أكثر من هذا نصحه ووبخه.

حقاً كما قال القديس بولس الرسول فيما بعد "أيها الأبناء أطيعوا والديكم فى الرب، لأن هذا حق" (أف٦: ١). وندقق هنا على عبارة (فى الرب)، أى أن تكون الطاعة للبشر، داخل الطاعة للرب. أما خارج الله، فلا طاعة لأحد أياً كان مركزه، حتى لو كان أباً .. وهذا الطريق سلك فيه يوناثان بن شاول .

كلّم أباه حسناً عن داود. ولم يلجأ إلى النفاق مع الرؤساء!

لم يبصر الشر فيتوارى" !! بل واجه الشرّ وفى قوة. لم يفعل مثل أية حاشية فاسدة لملك أو رئيس أو مدير، تمتدح له كل ما يعمله حتى الأخطاء، إما كسباً لرضاه أو إتقاء لشره!

✠ ✠ ✠

بل هنا نرى شجاعة يوناثان فى الحق: قال لأبيه شاول: "لا يخطئ الملك إلى عبده داود، لأنه لم يخطئ إليك، ولأن أعماله حسنة لك جداً .. لماذا تخطئ إلى دم برئ، بقتل داود بلا سبب؟!" (١صم١٩: ٤، ٥).

فى هذه المرة نجح يوناثان فى وساطته كصانع سلام، وكمنقذ للمظلومين. وسمع له أبوه فى دفاعه عن داود. "وحلف شاول: حىّ هو الرب، لا يُقتل" . وأتى يوناثان بداود إلى شاول، بعد أن أقسم له أن داود سوف لا يُقتل .

✠ ✠ ✠

يوناثان كان بالنسبة إلى أبيه يمثل الإكرام العاقل الحكيم. وكان بالنسبة إلى داود يمثل المحبة المخلصة الزاهدة .

إنه لا يمثل أبداً التعصب أو التحيز للعشيرة. لا ينضم إلى أبيه لمجرد أنه أبوه. إنما ينضم إلى الحق أولاً وقبل كل شئ. لا ينحاز إلى سبط بنيامين عشيرة أبيه، ضد سبط يهوذا عشيرة داود. إنما يقف إلى جوار العدل والحق، ولو كان ذلك ضد أبيه.

إنه مع داود، لأن داود يعمل خيراً باستمرار، ولأن الله معه. إذن حينما يكون مع داود، يكون مع الله فى نفس الوقت ..

✠ ✠ ✠

يوناثان كان أيضاً لا يشتهى الملك والرئاسة. لذلك كان قلبه نقياً من الحسد الذى فى قلب أبيه .

يوناثان ابن الملك كان قد خلع ملابسه الملكية كأمير، وأعطاها لداود. أعطاه جبته وسيفه وقوسه ومنطقته وباقى ثيابه (١صم١٨: ٤). يوناثان - وهو ولى العهد - لم يكن يخاف من داود على الملك الذى يرثه من أبيه شاول. بل فى قلبه : لو صار داود ملكاً، لكان هذا يسعده. إنه ينظر إلى الحكم بطريقة موضوعية، وليس بطريقة شخصية مثل أسلوب أبيه !! وفى كل ذلك كان يطيع الأب السماوى أكثر مما يطيع أباه الأرضى .

لذلك كانت كل مؤامرة يدبرها أبوه لقتل داود، كان يوناثان يكشفها له لكى ينقذه .

✠ ✠ ✠

أتقول الوصية "تحب قريبك كنفسك" (مت٢٢: ٣٩).. ها نحن نرى يوناثان أحب داود أكثر من نفسه .

بل إنه فى مرة أخرى ... فى دفاعه عن داود. تعرض لغضب أبيه الذى سبَه ووبخه

فى عنف وحمو غضب قائلاً له " يا إبن المتعوجة المتمردة، أما علمت أنك أخترت إبن يسى لخزيك .. لأنه مادام إبن يسى حياً على الأرض، لا تثبت أنت ولا مملكتك. والآن أرسل وأت به لأنه ابن الموت هو " (١صم٢٠: ٣٠، ٣١) .

أما يوناثان فلم يكن مهتماً بأن تثبت له مملكة .. بل مثل هذه المملكة التى تأتى بأسلوب الحقد والقتل والظلم وعكس مشيئة الله، هذه ما كانت تغرى يوناثان إطلاقاً .. كل ما كان يهم يوناثان هو العدل والحب. وكان يرى أباه فى طريق عكسى لهما .. إذ ما كان شاول يحب داود، ولا كان عادلاً فى تصرفه معه .

✠ ✠ ✠

وهكذا كان الأب وإبنه فى طريقين متناقضين .

وللأسف كان شاول يبدو كما لو كان يدافع عن ابنه وثبات المملكة له !! ولكن بأسلوب عالمى بعيد عن الروحانية، مبنى على الظلم والغدر والمبدأ الميكافيللى الذى يقول الغاية تبرر الوسيلة!!

أما يوناثان فلم يرد إطلاقاً على حديث أبيه عن ثبات المملكة له. كان ذلك الأمر أتفه من أن يرد عليه. وإنما أجاب أباه بأسلوب روحى، إذ قال عن داود " لماذا يُقتل؟! ماذا عمل ؟ " (١صم٢٠: ٢٢). وكانت النتيجة أن " شاول وجه الرمح نحوه ليطعنه " ! .

✠ ✠ ✠

وكما دافع يوناثان عن داود، ولم ينفذ رغبة أبيه، هكذا فعلت ميكال أخته أيضاً .

أرسل شاول عبيده لقتل داود فى مسكنه. فوقفت ميكال إلى جوار داود لتنقذه من أبيها، ودبرت له طريقة للهرب. "فأنزلت ميكال داود من الكوة، فذهب هارباً ونجا" (١صم١٩: ١٢) وفى مكان فراشه وضعت الترافيم ولبدة ماعز وغطت الفراش. وأتى رسل شاول لقتل داود ولم يجدوه. ووبخ شاول إبنته قائلاً لها " لماذا خدعتنى، فأطلقت عدوى حتى نجا " (١صم١٩: ١٧) .

وكما فقد شاول روحياته، فقد أيضاً طاعة إبنه وإبنته له .

صارت خطيئته مكشوفة تتعب ضمير الإبن والإبنة، فتعثرهما فى أبيهما، وتصطدم أيضاً بمحبتهما لداود، كما تصطدم تصرفات ذلك الأب الشرير بالحق والعدل، وتلغى كل ما له من طاعة عليهما

✠ ✠ ✠

محاولات للقتل

ولم يكتف شاول بمحاولة قتل داود عن طريق عبيده، أو عن طريق إبنه وإبنته. بل إنه لما فشل فى ذلك، حاول أن يقتل داود بنفسه. وعلى الرغم من أنه حلف لإبنه يوناثان أنه لن يقتل داود، إلا أنه:

كان من النوع الذى لا يفى باقسامه ولا بوعوده ...

كان الحقد الذى فى قلبه، أقوى من القسم الذى يحلف به أمام الرب. وكم من مرة وعد بأنه سوف لا يعتدى على داود، ولم يستطع أن يبر بوعده .. كان مغلوباً من نفسه ومن شره ...

كان داود باعتباره صهره، يجلس معه على المائدة، أو يتكئ معه فى بيته. وكان لا يزال مخلصاً له يهدئه كلما بغته الروح الردئ. وفى أحد الأيام " كان الروح الردئ من قبل الرب على شاول وهو جالس فى بيته، ورمحه فى يده، وداود يضرب بالعود. فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح... ففر من أمام شاول، فضرب الرمح إلى الحائط. فهرب داود ونجا تلك الليلة (١صم١٩: ٩، ١٠).

✠ ✠ ✠

وعاد شاول يطلب داود ليقتله. وما كان داود يدافع مطلقاً عن نفسه. كانت حرباً بين الشر الظالم والخير المسالم .

بل كانت حرباً بين الروح الردئ الذى يبغت شاول، وبين روح الله الذى حلّ على داود وقد فارق شاول ... كل ما كان يفعله داود أنه كان يهرب، بينما كان جبار بأس يستطيع أن ينتصر على شاول إن أراد. ولكنه لم يرد إذ كان ينظر إلى شاول باستمرار على أنه مسيح الرب، مهما فعل، ومهما أخطأ ...

وكان يوناثان مع داود باستمرار. وقد عاهده فى حب صادق وقال له : هكذا يفعل الرب ليوناثان وهكذا يزيد. إن استحسن أبى الشر نحوك، فإنى أخبرك وأطلقك فتذهب بسلام " (١صم٢٠: ١٣)

✠ ✠ ✠

وفعلاً أنقذه يوناثان مرة أخرى بحيلة، وتعاهدا مرة أخرى معاً (١صم٢٠) .

وبعد أن أنقذه يوناثان قام داود " وسقط على وجهه إلى الأرض، وسجد ثلاث مرات.

وقبّل كل منهما صاحبه، وبكى كل منهما مع صاحبه حتى زاد داود " (١صم٢٠: ٤١) .

وتعاهد الإثنان. وقال يوناثان لداود " اذهب بسلام، لأننا كلينا قد حلفنا باسم الرب قائلين : الرب يكون بينى وبينك، وبين نسلى ونسلك إلى الأبد. وافترق الإثنان. وكان فراق الوداع .

✠ ✠ ✠

وانتهى دور يوناثان فى النزاع بين شاول وداود، كما انتهى دور صموئيل النبى من قبل .

وبقى أن يواجه داود الموقف وحده، ومعه نبله وروحياته، وأيضاً معه الرب، الذى كان معه وهو بعد يرعى الغنيمات القليلات فى البرية. وكما أنقذه الله من الأسد والدب، وكما أنقذه من جليات الجبار (١صم ١٧: ٣٧)، هكذا ينقذه من شاول أيضاً .

روحيات داود

كان داود وهو فى العهد القديم، يعيش بروحيات العهد الجديد

من حيث وصية "لا تقاوموا الشر .." (مت٥: ٣٩) "لا يغلبنك الشر، بل إغلب الشر بالخير" (رو١٢: ٢١). هكذا تصرف مع شاول الملك كل أيامه ... ولما مات، رثاه داود وبكاه، وتكلم عنه كلاماً حسناً ... وكان يحترمه وهو فى عمق شرّه .

كان يحترمه كمسيح الرب، على الرغم من أخطائه، وعلى الرغم من أنه كان عليه روح ردئ .

وكان يحترمه على الرغم من محاولات شاول أن يقتله. وكان يتكلم معه وعنه بكل إتضاع. ويخاطبه باستمرار بعبارة "سيدى" "أبى" "عبدك"..

كانت وظيفة شاول ومسحته قائمة أمام داود، وليست تصرفات شاول. يعامله حسب مسحته، وليس حسب أعماله .

واستمر الصراع قائماً بين معتدٍ ومسالم .

ونسى داود أنه أيضاً مسيح الرب !!

✠ ✠ ✠

كان داود محتفظاً بتواضعه على طول الخط، لم تغيره الأمجاد.

لم تغيره المسحة المقدسة التى نالها من يد صموئيل النبى، وحلول روح الرب عليه (١

صم١٦: ١٣). ولم تغيره إنتصاراته المتعددة، سواء على الأسد والدب (١صم ١٧: ٣٥)، أو على جليات الجبار (١صم١٧: ٥١)، ولا فى حروب أخرى كثيرة (١صم ١٨: ٢٧) (١صم ١٩: ٨). ولم يغيره هتاف النساء له وتفضيله على شاول الملك (١صم ١٨: ٧). ولم تغيره محبة الناس وتوقيرهم له ولا نجاحه المستمر (١صم١٨: ١٦، ٣٠). ولا أرتفع قلبه مطلقاً بعمل الرب معه (١صم١٨: ١٢، ١٤، ٢٨) .

✠ ✠ ✠

وفى علاقاته بشاول الملك كان يتكلم بإتضاع شديد .

فلما حدثوه عن مصاهرته لشاول، قال لهم "هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك، وأنا رجل مسكين وحقير" (١صم١٨: ٢٣). قال عن نفسه أنه مسيكن وحقير، بعد إنتصاره الجبار على جليات وبعد هتاف النسوة له، وبعد تعيينه فى قيادات الجيش (١صم ١٨: ٥، ١٣) .

✠ ✠ ✠

وما كان يستهين بالملك الذىعليه روح ردئ .

بل كان يضرب له على العود ويهدئه، دون أن ينقص إحترامه له. ولم يحدث مطلقاً أنه قارن بينه وبينه، ولا أدانه وهو يراه هائجاً أمامه بطريقة معثرة.

كذلك لم يقارن بينه وبينه حينما كان هذا الملك خائفاً ومرتاعاً هو وكل الجيش من جليات (١صم ١٧: ١١)، بينما كان داود شجاعاً قادراً على لقائه.

✠ ✠ ✠

ولم يحدث أنه إستاء - بعد إنتصاره على جليات - لما قال له شاول الملك: إبن من أنت يا غلام ؟ (١صم١٧: ٥٨) بينما كان له من قبل حامل سلاح (١صم١٦: ٢١). وقد رآه من قبل ملاقاة جليات وألبسه الدرع (١صم١٧: ٣٨). بل أجاب داود بكل إتضاع ووداعة " أنا داود إبن عبدك يسى البتلحمى " (١صم١٧: ٥٨) .

وبنفس الإتضاع والوداعة والإحترام، واجه داود كل مطاردة شاول له لكى يقتله.

قمة صراع شاول ضد داود

لكى نفهم هذه المرحلة الأخيرة من صراع شاول ضد داود، ينبغى أن نتعرف فى عمق على شخصية شاول وإسلوبه، وعلى موقف داود منه كمسيح للرب. ثم نرى كيف انتصر نبل داود وصبره. وكيف تدخل الله وخلصه من شاول، دون أن تكون لداود يد فى ذلك .

✠ ✠ ✠

شخصية شاول وأسلوبه

شاول الملك كان يمثل الإنسان الواثق بنفسه أكثر مما يجب. ويمثل الإنسان الذى يريد أن ينفذ مشيئته الخاصة، ولو ضد مشيئة الله !!

لقد صار ملكاً. أرسل الله له صموئيل النبى فمسحه ملكاً. ولكنه لم يهتم أن يكون باستمرار تحت إرشاد صموئيل النبى. بل كان يحب أن يفكر لنفسه، وينفذ ما يهديه إليه تفكيره، سواء كان ذلك موافقاً لمشيئة الله أم لا ! سواء وافق صموئيل النبى أو لم يوافق ! بل لا ينتظر حتى يأخذ إرشاد هذا النبى العظيم .

✠ ✠ ✠

أراد أن تكون مملكته مستقلة عن الله !!

مملكة خاضعة لفكره البشرى، ولإرادته البشرية، حتى لو كان هناك روح ردئ يقوده !! أرادها مملكة منفصلة عن الله وتدخله. يعتمد فيها على ذكائه وشخصيته، وقوته وسلطانه، وليس على إرشاد الله ولا على أوامر نبيه صموئيل .

إن ذكاء الإنسان هو عطية من الله، عطية سامية ولكنها تضل إن كانت ضد مشيئة الله وإرشاده .

✠ ✠ ✠

الخطأ الثانى لشاول الملك، إنه كان متمركزاً حول ذاته وسلطانه، وملكه ووظيفته ...

وكان يضع هذا الأمر فى قمة إهتمامه .. يهتم كيف يحتفظ بهذا الملك، وكيف يورّثه لإبنه ولسبطه. وكان مستعداً أن يتخذ كل الوسائل لضمان ذلك .

رأى أن داود خطر على ملكه، فأراد أن يقضى على داود. ورأى أن الله مع داود، فلم يهمه ذلك، ووقف ضد كليهما، ضد الله وضد داود. ولما رأى أن الله ينجح طريق داود، إزداد حسداً له، وأحب أن يتخلص منه ...

✠ ✠ ✠

المفروض فى الإنسان إذا تلمس إرادة الله، أن يخضع لها...

والمفروض أنه إذا أدرك أن شخصاً محبوب من الله، أو هو من رجال الله، لا يقاومه. ولكن شاول لم يكن كذلك. كان يعرف تماماً أن الرب مع داود، ومع ذلك قاومه بكل شدة وبكل عنف وقسوة. وكأنه يتحدى الله نفسه .

حقاً، إذا تمركز إنسان حول ذاته، لابد أن يصل إلى العناد، وإلى الجهل ...

كانت مشيئة الله واضحة أمام شاول، ومع ذلك كان يعاند. وكان عناده لوناً من صلابة الذهن وصلابة القلب. كان قلبه مثل صخرة لا تلين أمام الله. كان فى قلبه يشبه فرعون، الذى كان يعرف تماماً أن الله مع موسى بقوة معجزات وآيات، وعلى الرغم من ذلك قاوم موسى النبى، بكل عناد ... الإثنان متشابهان - فرعون وشاول - فى الذاتية والعناد ... وفى إهتمام كل منهما بذاته، وتشبثه بتنفيذ مشيئته، والحرص على سلطانه ...

✠ ✠ ✠

اهتم شاول بذاته، ولكن ليس بطريقة روحية. فالطريقة الروحية هى التى قال عنها داود " أما أنا فخير لى الإلتصاق بالرب.." (مز٧٣: ٢٨). أما شاول فاهتم بنفسه بطريقة فصلتها عن الله فضيعتها. وانطبق عليه قول السيد الرب :

"من وجد نفسه يضيعها. ومن أضاع نفسه من أجلى يجدها" (مت١٠: ٣٩) .

أراد شاول أن تظهر ذاته وتسود، ولو اختفى الله من أمامه. وهكذا ضيّع نفسه، فيما أراد لها أن توجد ...

✠ ✠ ✠

المهم أن شاول بعد إنتصار داود على جليات، وهتاف النساء له بالأكثر، ظل يطارد داود من مكان إلى آخر، ومن برية إلى أخرى، فى قصة صراع عجيبة بين الخير والشر

: فيها الشر دائم الهجوم، دائم المطاردة، دائم الإعتداء ... بينما الخير فى ذلك الصراع لا يدافع عن نفسه ...

نُبل داود

كان داود فى تلك الحرب حريصاً على ألا يقابل الهجوم بهجوم، ولا يقابل الإعتداء باعتداء، ولا الإساءة بإساءة .

كان داود مثالاً للإنسان الذى لا يدافع عن نفسه، بل يترك الله ليدافع عنه ..

لم يتخذ أى موقف ضد شاول على الإطلاق. بل كان داود فى نبله حساساً لنقاط معينة تمثل مبادئ روحية فى حياته :

كان شاول أكبر من داود سناً. وداود يحترم من هم أكبر منه سناً. وكان شاول أعلى منه مقاماً، وداود يحترم السلطات، ولا يشاء أن يقاوم الملك. وأيضاً شاول هو مسيح الرب، مسحه صموئيل النبى بالدهن المقدس ...

وداود يحترم مسيح الله ويقدسه، فلا يمكن أن يعتدى عليه .

لا يمكن أن يعتدى عليه، مهما نزل عليه شاول بكل ثقله، ومهما ظلمه ... على الرغم من أن داود كان يعلم أن شاول عليه روح ردئ. وكان داود يهدئه عندما يبغته ذلك الروح الردئ فيهيج... حتى أنه كان يصوّب السهم نحوه ليقتله.. ومع كل ذلك وضع داود أمامه تلك العبارة.. "إنه مسيح الرب هو" (١صم٢٤: ٦) "حاشا لى من قبل الرب أن امدّ يدى إلى مسيح الرب" (١صم٢٦: ١١).

✠ ✠ ✠

إنه درس لنا جميعاً فى إحترام مسحاء الرب، الذين مسحهم رجاله، حتى إن أخطأوا.

لذلك احتمل داود كل الظلم الذى لحق به من شاول الملك فى صبر عجيب. وصار داود يمثل القلب الصابر الذى يحمل صليبه كل يوم من أجل بره وقداسته. فلا اعتدى على شاول، ولا تذمر على الله، بسبب تركه يحتمل وهو مظلوم، يضطهده شاول بلا سبب.

وكأنه فى داخل قلبه كان يقول : إن الله يرى ما أنا فيه. فإن أراد أن يدافع عنى فليدافع. وإن أحب أن ينتظر حتى يأتى الوقت المناسب، فالمناسب أيضاً أن أنتظر.. ولعله كان يعزى نفسه قائلاً:

"انتظرت نفسى الرب من محرس الصبح حتى الليل" (مز١٣٠: ٦).

✠ ✠ ✠

وما هو هذا الليل، إلا الويل الذى يصيبه من شاول وقد اخذ معه ثلاثة آلاف جندى من المنتخبين لكى يطارده ويقتله (١صم٢٦: ٢). وكان داود يعرف أن الرب سيتدخل فى وقت ما، ولابد أن مضايقات شاول ستنتهى "إما أن الرب يضربه، أو يأتى يومه فيموت، أو ينزل إلى الحرب ويهلك" (١صم٢٦: ١٠).. فإنتظار عمل الرب هو الأفضل. وهكذا يقول لنفسه :

"إنتظر الرب. تقوّ وليتشدد قلبك، وانتظر الرب" (مز٢٧: ١٤).

✠ ✠ ✠

أحياناً نشعر أن الله يتباطأ فى الحل، وأنه قد تأخر كثيراً عن معونتنا، فيضعف إيماننا، أو نلجأ إلى طرق بشرية، فنعتمد على ذكائنا أو على الناس. ولكن الرب لابد سيجئ ولو فى الهزيع الرابع من الليل، ليعمل عملاً، ويشرق على السالكين فى الظلمة. فيهتف كل مظلوم ويقول " عظّم الرب الصنيع معنا، فصرنا فرحين " (مز١٢٦: ٣) .

✠ ✠ ✠

إن الرب لا يدلل أولاده. ولكنه كثيراً ما يدربهم بالضيقات ليشتد عودهم .

حتى يستطيعوا فيما بعد أن يتحملوا المسئوليات الكبيرة. وكما درّب موسى بمضايقات فرعون قبل أن يتولى مسئوليات الشعب كله. كذلك درّب داود بضيقات كثيرة قبل تحميله مسئولية قيادة الشعب. درّبه فى هجوم الأسد والدب على غنمه (١صم١٧: ٣٤ - ٣٦). ودرّبه فى محاربة جليات الجبار ليعرف أن الحرب للرب (١صم١٧: ٤٧). ودرّبه أيضاً بمطاردة شاول الملك له. حتى يقول فيما بعد فى مزاميره :

"مراراً كثيرة حاربونى منذ صباى، ولكنهم لم يقدروا علىّ.." (مز١٢٩: ٢) .

✠ ✠ ✠

ما كان ممكناً أن يتولى الملك مباشرة قبل فترة التدريب، أكان ذلك الغلام " الأشقر مع حلاوة فى العينين " يقدر أن يتولى قيادة إمبراطورية واسعة بكل ما فيها من حروب، ومن مؤامرات أبنير ويوآب بن صرويه، بل ومؤامرات أبشالوم أيضاً، وخيانة أخيتوفل وتعييرات شمعى بن جيرا ... إلا بعد أن يتمحص بالنار أولاً، ويدخل من الباب الضيق ويسير فى الطريق الكرب (مت٧: ١٤). ويحتمل شاول وأمثاله ... وحينئذ ينشد :

" كثيرة هى أحزان الصديقين، ومن جميعها ينجيهم الرب " .

✠ ✠ ✠

عمل داود بوصية العهد الجديد "لا تقاوموا الشر"(مت٥: ٣٩).

فلم يقاوم شاول. بل كل ما فعله أنه كان يهرب.. وفى إحدى المرات، وهو هارب فى حصون جدى. خرج وراءه شاول ومعه ثلاثة آلاف من الجنود المنتخبين (١صم٢٤: ١، ٢). ودخل شاول أحد الكهوف ليستريح. وكان داود ورجاله فى أعماق ذلك الكهف. فقال له رجاله : قد دفع الله عدوك ليدك لتفعل به ما تريد. وقام داود وقطع طرف جبة شاول سراً. ثم وبخه ضميره على ذلك ووبخ رجاله الذين شجعوه على قتل شاول قائلاً :

" حاشا لى من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بمسيح الرب، فأمد يدى إليه. لأنه مسيح الرب هو " (١صم٢٤: ٦) .

إنه مَسيح الربّ

فلم يسمح داود لنفسه أن يقتل شاول عدوه .

ولا سمح داود لرجاله أن يفعلوا ذلك ...

وقع فى يديه، فلم يؤذه. وتركه إلى أن غادر المكان بسلام ومضى فى طريقه. وحينئذ ناداه داود "يا سيدى الملك". فلما التفت شاول إلى وراءه "خرّ داود على وجهه إلى الأرض وسجد" (١صم٢٤: ٨). وقال له داود "هوذا قد رأت عيناك اليوم، كيف دفعك الرب اليوم ليدى فى الكهف. وقيل لى أن أقتلك. ولكننى أشفقت عليك. وقلت لا أمد يدى إلى سيدى، لأنه مسيح الرب هو. وأراه طرف جبته فى يده".

✠ ✠ ✠

بكل هذا الإتضاع كلّمه. بعبارة سيدى الملك. وبسجوده أمامه إلى الأرض .

وأيضاً بقوله "وراء من خرج ملك إسرائيل؟! وراء من أنت مطارد؟! وراء كلب ميت، وراء برغوث واحد؟!" (١صم٢٤: ١٤). ثم قال له " يقضى الله بينى وبينك "وكررها مرتين (١صم٢٤: ١٢، ١٥). وعرّفه أنه لم يخطئ إليه، وعاتبه قائلاً "وأنت تصيد نفسى لتأخذها".

✠ ✠ ✠

واستطاع نبل داود أن يحطم قساوة شاول، فرفع شاول صوته وبكى (١صم٢٤: ١٦)

حقاً تستطيع أن تقتل عدوك بنبلك لا بنبالك. النبال تحطم الجسد، أما النبل فيحطم القلب من داخل مهما كان صخراً. بنبل داود، احتقر شاول ذاته. شعرَ أنه حقير أمام نفسه. فبكى.

عرف شاول أنه كان بإمكان داود بدلاً من أن يقطع طرف جبته، أن يقطع رأسه كما فعل بجليات، ولكنه كان أنبل من أن يفعل ذلك لنبله، ولإحترامه مسحته. وهذا النبل هزّ قلب شاول الصخرى. فقال له " أهذا صوتك يا ابنى داود ". وبكى ...

ليس سهلاً على الرجل أن يبكى، وبخاصة لو كان إنساناً قاسى القلب كشاول، جباراً ومعه جيش من ثلاثة آلاف وضميره من حديد، ومشاعره من فولاذ لا تتحرك. ولكن داود انتصر على حقد شاول، بنبله .

✠ ✠ ✠

هزمه بتواضعه، وبرقته، وبإشفاقه عليه حينما وقع فى يده، وهزمه بإحترامه له على الرغم من محاولة شاول أن يقتله .

انتصر داود فى تعفف يده عن القتل. فشهد له شاول قائلاً له "أنت أبرّ منى، لأنك جازيتنى خيراً، وأنا جازيتك شراً ... فليجازك الرب خيراً عما فعلته اليوم لى" .

واعترف شاول أن داود سيصير ملكاً وتثبت مملكته. وطلب من داود أن يحلف له أنه لا يبيد اسمه من بيت أبيه، ولا يقطع نسله من الأرض. فحلف له داود ومضى كل واحد منهما فى طريقه ...

ولكن هل ترى القصة قد إنتهت عند هذا الحد ؟ وهل أبطل شاول مطاردة داود ؟ كلا..

نهاية مطاردة شاول لداود

كان شاول الملك الجبار قد بكى من فرط تأثره بنبل داود، كما بكى عيسو من قبل متأثراً بتواضع أخيه يعقوب (تك٣٣: ٣، ٤) .

كان بكاء شاول مجرد يقظة مؤقتة للضمير، ولكنه لم يكن توبة حقيقية ثابتة ...

نبل داود الذى تعفف عن قتله، هزّ قلبه إلى لحظات. ولكن رجع إلى قلبه بعد ذلك الحسد والحقد والغلّ. ففكر مرة أخرى أن يقتل داود. ذلك لأن تأثره السابق كان من الخارج فقط، أما القلب فلم يتغير. صدق الكتاب حينما قال:

"إن دققت الأحمق فى هاون.. لا تفارقه حماقته" (أم٢٧: ٢٢).

✠ ✠ ✠

كان شاول كإنسان تسيطر الخطية على قلبه. ثم يُصدم صدمة ما، فيصحو إلى نفسه ويقول: لابد أن أتوب، ويلقى أمام الله وعوداً! ثم بعد ذلك تبرد مشاعره، ويزول تأثره، ويرجع إلى خطيئته كما كان ... هكذا كان شاول مغلوباً من طبيعته الشريرة .

✠ ✠ ✠

كان هناك فرق بين شاول وداود فى طبيعة كل منهما :

داود كان يمكن أن يخطئ مثل شاول، ولكن فى حدود لا يتعداها. وأيضاً هناك فارق آخر جوهرى بين طبيعة داود وطبيعة شاول ... ذلك أن شاول كان طبيعته شريرة، الشرّ كان العنصر الأساسى. وإن فعل خيراً، يكون ذلك عملاً طارئاً عليه. وإن قدّم توبة أو ندماً، يكون ذلك بصفة مؤقتة، لا تلبث أن تزول بعد حين.

أما داود، فكان البر هو طبيعته الأصلية، وإن أخطأ، يكون الخطأ دخيلاً عليه. وما يلبث أن يتوب عنه بعمق وصدق .

✠ ✠ ✠

محاولة أخيرة لقتل داود

وسمع شاول أن داود مختف فى تل حخيلة (١صم٢٦: ١)، فخرج يفتش عليه ليقتله!

خرج وراءه ومعه ثلاثة آلاف جندى (١صم٢٦: ١، ٢). ولم يستفد شاول من خبرته السابقة مع داود الذى كان الرب معه. كانت صحوته السابقة حينما بكى، مجرد زيارة من زيارات النعمة عملت فيه. ولكن لم يستغل هذه النعمة لخير نفسه .. فلما سمع أن داود فى برية ما، استيقظ فيه الحقد القديم والحسد القديم، وتخلص من هزة ضميره.

كان مثل الإبرة المغناطيسية التى تهتز شرقاً وغرباً، ثم ترجع إلى اتجاهها الثابت .

✠ ✠ ✠

أما تأثره حينما قال لداود "أنت أبر منى"، فكان مثل صحوة الموت.. وعاد يطلب داود ليقتله! ولكن يقتل من؟ يقتل إنساناً يعرف تماماً أن الرب معه، وقد كتب له الرب الحياة .. يقتل من يقول فى المزمور "إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى. وإن قام علىّ قتال، ففى ذلك أنا مطمئن" (مز٢٧: ٣).. لاشك أن الحقد صوّر له أوهاماً مستحيلة التنفيذ .

سار ومعه ٣٠٠٠ جندى، وآلاف أكثر وأكثر من الشياطين فى ركابه.

موكب من الشر يتحرك معه، موكب من الحقد والحسد يزحف ضد داود. أما داود فكانت نعمةالله تظلل عليه.. وبدلاً من أن يقع داود فى يد شاول، وقع شاول فى يد داود، للمرة الثانية..

✠ ✠ ✠

حقاً إن كان الرب مع إنسان، يلقونه فى النار فلا يحترق، كالثلاثة فتية (دا٣).. أو يلقونه فى جب الأسود - كدانيال - فيرسل الله ملاكه فيسد أفواه الأسود (دا٦: ٢٢) .. هكذا حدث مع داود.

لم يكن صراع شاول ضد داود، بل ضد الله .

كان شاول يتآمر بجيشه. وكان الرب يحمى داود بنعمته .

دخل شاول إلى مكان فاضطجع، وقد وضع إلى جواره رمحه وكوز الماء. ونام أبنير

رئيس جيشه معه. وكان جنوده نياماً أيضاً. "لأن سبات الرب وقع عليهم"(١صم٢٦: ١٢). كان الوقت ليلاً.

ونزل داود، ومعه أبيشاى بن صروية، إلى حيث شاول الملك وهو نائم، وقال أبيشاى لداود " دعنى أضربه بالرمح إلى الأرض دفعة واحدة ولا أثنى عليه ورفض داود ذلك وأجاب "من ذا الذى يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ؟!" حاشا لى من قبل الرب أن أمدّ يدى إلى مسيح الرب" (١صم٢٦: ٨- ١١) .

✠ ✠ ✠

داود ترك شاول إلى الرب، ولم يأثم. كان ضابطاً لنفسه إلى أقصى حد .

حقاً إن شاول قد رجع فى عهده مع داود، وحقاً كان إنساناً شريراً، وكان روح الرب قد فارقه منذ زمن، وبغته روح ردئ من قبل الرب (١صم١٦: ١٤). ومع ذلك، فهو مسيح الرب هو، مهما كانت عداوته وشره وإصراره على قتل داود.. ولكن ضمير داود كان يقظاً باستمرار. وكان لا يلتمس لنفسه الأعذار فى قتل شاول.

✠ ✠ ✠

والمبررات أمامه كانت كثيرة، ولكنه لم يعتمد عليها .

كذلك بالنسبة إلى معاونيه وقادة جنده، كان فى موقف المعلم، وكان مثالاً عملياً لهم، فهو لم يسمح لنفسه بقتل شاول، ولم يسمح لهم أن يقتلوه، ولا رضى أن يقبل منهم عبارة "إن الرب قد دفع عدوك إلى يدك".(١صم٢٤: ٤). حقاً إنه قد دُفع إلى يديه. ولكن داود لم يعتبر أن ذلك من الله. ولم يرض بهذا التفسير وقتذاك، ولا حينما كرر أبيشاى نفس العبارة قائلاً "قد حبس الله اليوم عدوك فى يدك" (١صم٢٦: ٨) .

كان داود يقود أتباعه. وما كانوا يقودونه. بل كان ضميره يقوده ويقودهم ..

وهكذا أخذ داود رمح شاول من عند رأسه، وأخذ كوز الماء، وانصرف هو وأبيشاى، وترك شاول سليماً فى نومه "ولا رأى ولا علم ولا أنتبه أحد". وعبر داود إلى الضفة الأخرى ووقف على رأس الجبل.

آخر عتاب

ووبخ داود رئيس جيش شاول لأنه لم يحرس سيده الملك .

يمكن أن ينام الملك. ولكن لابد أن يبقى رئيس جيشه ساهراً يحرسه، أو على الأقل

يعين جنوداً ساهرين لحراسته. أما أن ينام هو وجنوده، فهذا أمر يستوجب التوبيخ. ولكن ممن؟ من داود الذى هو الآن يدافع عن ملك يريد قتله!! فقال لأبنير "لماذا لم تحرس سيدك الملك؟" "أما أنت رجل؟! ومن مثلك؟" حى هو الرب إنكم أبناء الموت أنتم، لأنكم لم تحافظوا على سيدكم على مسيح الرب" (اصم٢٦: ١٣- ١٦). وأراهم فى يده رمح الملك وكوز مائه..

"وعرف شاول صوت داود، فقال "أهذا هو صوتك يا إبنى داود؟". فقال داود "إنه صوتى يا سيدى الملك"..

✠ ✠ ✠

كلّمه داود بكل إحترام، ولكنه فى نفس الوقت عاتبه بكل حزم.. أمام الرب .

لم ينس وهو يعاتب أنه أمام الملك. فقال له "يا سيدى الملك". "لماذا سيدى يسعى وراء عبده؟ ماذا عملت؟ وأى شرّ بيدى؟ والآن فليسمع سيدى الملك كلام عبده .." .

كان يتكلم من مرارة نفسه، ومن نقاوة قلبه، وهو يرى ذلك الملك القاسى الغادر يسعى إلى قتله بلا سبب. وينسى أنه كان له من قبل "حامل سلاح" (اصم ١٦: ٢١)، وأنه كان يهدئه من الروح الردئ الذى عليه" (اصم١٦: ٢٣)، وأنه أنقذه من جليات الجبار (١ صم١٧).. بل أن شاول أزوجه إبنته ميكال (اصم١٨: ٢٧). نسى شاول كل هذا، فقال له داود من مرارة قلبه " والآن لا يسقط دمى إلى الأرض، أمام وجه الرب. لأن ملك إسرائيل قد خرج ليفتش على برغوث واحد " (اصم ٢٦: ٢٠).

✠ ✠ ✠

وتأثر شاول، وشعر بحقارة نفسه أمام داود .

وقال " قد أخطأت.. هوذا قد حمقت وضللت كثيراً جداً" (اصم٢٦: ٢١).. لاشك أن إحتقار شاول لنفسه فى تلك اللحظة، كان أشد قتلاً له مما لو قتله داود!. صدقونى إن إحتقار الآخرين لشخص، أخف بكثير جداً من إحتقاره هو لنفسه .

لقد شعر شاول وقتذاك أنه فى مستوى حقير، ويتعامل مع إنسان كداود نبيل فى خلقه، مرتفع إلى مستوى عال فى معاملاته. وشعر شاول أن أخلاقه ليست أخلاق ملوك، وأنه يهوى إلى تحت، إلى أسفل، إلى هاوية عميقة من الحقارة، قال فيها " قد حمقت وضللت كثيراً جداً..".

✠ ✠ ✠

والعجيب، أنه كان يخاطب داود بعبارة يا إبنى .

"أهذا هو صوتك يا إبنى داود؟". وكررها مرتين (اصم٢٤: ١٦). (اصم٢٦: ١٧). ولم يعاتبه داود على هذه العبارة، لأن شاول لم يعامله مطلقاً كإبن، ولم يظهر له شيئاً من مشاعر الأبوة فى ظل حسده له. كانت عبارة فقدت معناها، أجابه داود عليها بعبارة " يا سيدى الملك. لماذا سيدي يسعى وراء عبده " .. إنه يتعامل كسيد وليس كأب. وليته كان سيداً عادلاً ...

وفيما كان شاول يحتقر نفسه، عاد يقول لداود " ارجع يا إبنى داود، لأنى لا أسئ إليك بعد، من أجل أن نفسى كانت كريمة فى عينيك اليوم ". وأجابه داود " هوذا كما كانت نفسك عظيمة اليوم فى عينى، كذلك لتعظم نفسى فى عينى الرب، فينقذنى من كل ضيق " (اصم ٢٦: ٢١، ٢٤) .

✠ ✠ ✠

وأعاد داود لشاول رمحه، الذى أخذه منه وهو نائم.

إنه رمح الملك الذى وجهه إلى داود من قبل ليقتله (اصم١٩: ١٠). بل وجّه هذا الرمح أيضاً إلى إبنه يوناثان صديق داود لما دافع عنه (اصم ٢٠: ٣٣). ولكنه على أية الحالات هو رمح الملك، رمح مسيح الرب، لابد أن يعود إليه .. بعد أن تقدس بعض الوقت حينما أمسكه داود بيده .. وهكذا قال داود لشاول "هوذا رمح الملك. فليعبر واحد من الغلمان ويأخذه". وبهذا أعاده إليه دون أن يطلبه شاول منه ...

لقد عزّ على داود فى نبله، أن يعود شاول بدون سلاح، بدون رمحه فى يده، فأعاده إليه. إنه رمح الملك.. وقال داود:

"الرب يرد على كل واحد بره وأمانته" (اصم٢٦: ٢٣) .

✠ ✠ ✠

وقد كان لداود برّ يرده الرب. أما شاول فلم يكن له شئ من البر أو الأمانة .

وقال شاول لداود " مبارك أنت يا إبنى داود. فإنك تفعل وتقدر" (اصم٢٦: ٢٥). وهكذا كرر عبارة " يا إبنى " ثلاث مرات فى لقاء واحد .

وكانت هذه آخر عبارة سمعها داود من فم شاول .

" ثم ذهب داود فى طريقه، ورجع شاول إلى مكانه " .

✠ ✠ ✠

ولاشك أن شاول ذهب وهو فى خجل شديد أمام نفسه وأمام جنده. أخذ رمحه الذى احترمه داود. ورجع يجر أذيال الخيبة والخزى والفشل والعار، مما سجله التاريخ عليه فى علاقته مع داود.

ومضى داود يصحبه نبله ورفعة نفسه، واحترامه لمن هو أكبر منه سناً ومركزاً. بل يصحبه أيضاً تواضعه، إذ أنه فى كل ما أصابه من شاول نسى أنه - أى داود - هو أيضاً مسيح الرب، مسحه صموئيل النبى وسط أخوته وحلَ عليه روح الرب (١صم١٦: ١٣) .

✠ ✠ ✠

والعجيب أن داود - فى كل هذا الصراع مع شاول - كان يحترمه وهو يعرف أنه إنسان خاطئ !

لم تكن عند شاول أية علامات من القداسة يُحترم بسببها.. بل كان إنساناً ظالماً غداراً، لا كلمة له ولا عهد، وقد فارقه روح الله. ولكن كانت له مسحته التى احترمها داود.. فكان داود يضع أمامه هذه المسحة باستمرار، ويقول " حاشا لى أن أمد يدى إلى مسيح الرب " " إنه مسيح الرب هو"...

✠ ✠ ✠

كانت الفرصة متاحة أمام داود لقتل شاول، وما كان أحد يلومه لو أنه قتله .

كل الناس كانوا يرون فى شاول إنساناً شريراً. وكانوا يرون داود بطلاً وقديساً. ولكن لم يستغل شعبيته ولا محبة الناس له .

وبقى قلبه نقياً، لا يتأثر بالعوامل الخارجية. الفرصة متاحة من الخارج. ولكن ضميره فى الداخل ما كان يقدر أن يحتمل أن يرد على شاول بالمثل. بل إنه لما قطع طرف جبته، تعب ضميره بسبب ذلك وأوجعه قلبه (١صم٢٤: ٥) .

نهاية شاول

وأخيراً تدخل الله فى هذا الصراع بين شاول وداود. ومات شاول فى الحرب .

تدخل الله الذى قال عنه داود لشاول "يقضى الرب بينى وبينك.. ولكن يدى لا تكون عليك" (١صم ٢٤: ١٢). "الرب الديان يقضى بينى وبينك، ويرى ويحاكم محاكمتى، وينقذنى من يدك" (١صم٢٤: ١٥). نعم هو الرب الذى قال عنه داود فى المزمور " الرب

يحكم للمظلومين " (مز١٤٦: ٧) .

✠ ✠ ✠

إنهزم شاول فى الحرب، وقُتل على جبال جلبوع، ولم يشمت داود بل بكى عليه .

بل يقول الكتاب " أمسك داود ثيابه ومزقها، وكذا جميع الرجال الذين معه. وندبوا وبكوا، وصاموا إلى المساء. على شاول وعلى يوناثان إبنه، وعلى شعب الرب .. " (٢ صم١: ١١، ١٢) .

وأمر داود بقتل الغلام الذى أجهز على شاول وجاء يبشر بموته. وقال له داود " دمك على رأسك، لأن فمك شهد عليك قائلاً: أنا قتلت مسيح الرب " (٢صم١: ١٥، ١٦) .

✠ ✠ ✠

ورثا داود شاول ويوناثان مرثاة مؤثرة جداً .

" كيف سقط الجبابرة وبادت آلات الحرب " " يا جبال جلبوع، لا يكن مطر ولا طل عليكن، ولا حقول تقدمات. لأنه هناك طُرح مجن الجبابرة، مجن شاول بلا مسح بالدهن" "شاول ويوناثان المحبوبان والحلوان فى حياتهما، لم يفترقا فى موتهما. أخف من النسور وأشد من الأسود.." (٢صم١: ١٧، ٢٧) .

البَاب الرابع

داوُد الملك
ومحبّته لأعدائه

مَـع شـاول

مات الملك شاول قتيلاً فى الحرب، ولم يشمت داود فى موته، بل بكى عليه .

والبكاء ليس مظهراً خارجياً، بل هو تعبير عن عاطفة ومشاعر نابعة من القلب. وهذه المشاعر جعلت كل الذين حول داود يبكون معه أيضاً على شاول وإبنه يوناثان. وكان داود فى كل ذلك أمثولة ودرساً .. فى بكائه، وفى صومه، وفى رثائه لشاول ...

ولم يقل داود عند موت شاول : أشكرك يارب، لأنك خلصتنى من أعدائى .

فربما هذه الصلاة كانت ستحمل رضىً على موت شاول وفرحاً لموته ... بل على العكس مزق داود ثيابه تعبيراً عن شعوره بالكارثة التى حدثت، ولعن جبال جلبوع الذى استقبلت دماء شاول وامتدح فى مرثاه شاول، ووصفه بأنه من الجبابرة، وبأنه "أخف من النسور، وأشد من الأسود " ...

✠ ✠ ✠

وعجيب أنه على الرغم من كل شرور شاول، وجد فيه داود شيئاً يمتدحه .

بل قال "شاول ويوناثان المحبوبان والحلوان فى حياتهما.." (٢صم١: ٢٣). هاتان الصفتان يمكن أن ينطبقا على يوناثان وحده، فكيف أن داود ضم فيها شاول إلى يوناثان؟! وقال عنهما "المحبوبان والحلوان فى حياتهما"!! ألعله فى ساعة الموت يمكن أن ينسى الإنسان كل إساءات عدوه؟ أم هى طبيعة داود، الذى لا يحمل فى قلبه حقداً، ولم يكن يرى شاول إلا باعتباره مسيح الرب.. وكان يرى حروبه حروباً للرب، وأنه فى حروب الرب كان أخف من النسور، وأشد من الأسود".. لذلك قال "لا تخبروا فى جت. لا تبشروا فى أسواق اشقولون.. لئلا تشمت بنات الغلف" (٢صم١: ٢)

✠ ✠ ✠

أما عن صديقه وحبيبه يوناثان، فقال :

قد تضايقت عليك يا أخى يوناثان. كنت حلواً لى جداً. محَبتك لى أعجب من محبة النساء" (٢صم١: ٢٦). محبة النساء هى محبة جسدية. أما محبة هذا الأخ والصديق، فكانت محبة روحية، فيها الوفاء والبذل، والمودة والعهد. وكانت تحمل نبل يوناثان، وما

قابله به داود من نبل، بعد موته .

بموت شاول، انتهى فصل من مشاكل داود. ولكن لم تنتهِ كل مشاكله..

فقد قابل مشاكل كثيرة فى حياته بعد ذلك كملك : مشاكل من أبنير رئيس جيش شاول، ومشاكل من يوآب رئيس جيشه هو، ومشاكل من أبشالوم، ومن أخيتوفل، ومن آخرين. وقد تصرف فيها بوداعة وهدوء ونبل، كما سنرى..

ربما يظن شخص - إذا تخلص من مشكلة رئيسية فى حياته، أنه قد استراح إلى الأبد.. ثم لا يلبث أن تصادفه مشاكل أخرى.. المهم فى الإنسان أن تكون له النفسية القادرة على مواجهة المشاكل أياً كان عددها أو نوعها. لأنه إن هرب من مكان فيه مشكلة، قد تقابله مشكلة فى مكان آخر. وإن هرب من شخص ما، ربما تقابله مشكلة من شخص آخر ...

✠ ✠ ✠

وداود، عندما إنتهى من مشاكل شاول، قابلته مشاكل من آخرين، ومن داخل نفسه أيضاً ...

فبعد موت شاول، أخذوا داود ونصبّوه ملكاً فى حبرون. صعد إلى حبرون بأمر إلهى. "وأتى رجال يهوذا، ومسحوا هناك داود ملكاً على بيت يهوذا" (٢صم٢: ١، ٤).. ولكن ماذا عن باقى الأسباط؟ وماذا عن بيت شاول الملك: هل لا يطالبون بميراث؟! هنا ونقول:

١ - كانت أول مشكلة قابلت داود تتعلق بتثبيت ملكه .

حقاً إنه لم يفعل شيئاً من ذاته. ولم يستقل عن الله كما فعل شاول من قبل. إنما كان يستشير الله فى كل شئ. يقول الكتاب "إن داود سأل الرب قائلاً هل أصعد إلى إحدى مدن يهوذا؟ فقال له الرب إصعد. فقال داود : إلى أين أصعد ؟ فقال الرب إلى حبرون. فصعد داود إلى هناك.." (٢صم٢: ١، ٢).. وهناك مسحوه ملكاً.

مع إبنير

ومع ذلك، سمح الله أن يوجد لداود ملك آخر ينافسه !

★ أبنير رئيس جيش شاول أخذ أيشبوشت أحد أبناء شاول، وجعله ملكاً على الآشوريين، وعلى يزرعيل، وعلى إفرايم، وعلى بنيامين، وعلى كل إسرائيل (٢صم٢: ٨، ٩). وهكذا أصبح هناك ملكان فى وقت واحد: داود بأمر الله، وأيشبوشت بتدبير من أبنير.

أما داود فقد صمت وأنتظر الرب .

إنه دائماً يعمل مع الله، وينتظر عمل الله من أجله. فما الذى حدث ؟ اختلف أبنير مع أيشبوشت بسبب إمرأة، وقرر أبنير ردّ الملك إلى داود، وذهب ليقطع عهداً مع داود. غير أن يوآب رئيس جيش داود قتل أبنير غيلة إنتقاماً لأخيه عسائيل ...

✠ ✠ ✠

ولما سمع داود بمقتل أبنير، بكى عليه ورثاه .

وقال " إنى برئ أنا ومملكتى لدى الرب إلى الأبد من دم أبنير بن نير. فليحل (دمه) على رأس يوآب وعلى كل بيت أبيه.." (٢صم٣: ٢٨). وقال داود ليوآب ولجميع الشعب الذين معه: "مزقوا ثيابكم، وتنطقوا بالمسوح، والطموا أمام أبنير". وسار داود وراء النعش، ورفع صوته وبكى على قبر أبنير، وبكى جميع الشعب.

نسى داود أن أبنير هذا هو الذى عين واحداً من أبناء شاول ملكاً ينافسه.. ورثا أبنير وقال: ألا تعلمون أن رئيساً وعظيماً سقط اليوم فى إسرائيل. وصام داود. ولما احضروا له طعاماً، رفض أن يأكل، وقال "هكذا يفعل لى الله وهكذا يزيد، إن كنت أذوق خبزاً أو شيئاً آخر إلى غروب الشمس.. وحسن كل ذلك فى أعين الشعب. (٢صم٣: ٣١- ٣٨).. عرفوا أن ملكهم على خلق، وله مبادئ روحية، ولا يسفك دماً بريئاً حتى لو كان لشخص صنع به شراً من قبل.

لقد بكى داود ثلاث مرات لموت أعدائه:

بكى لما مات شاول، الذى طارده من برية إلى أخرى، ومعه جيش من ثلاثة آلاف رجل محاولاً أن يقتله ..

وبكى على أبنير رئيس جيش شاول الذى عين أيشبوشت ملكاً لينافسه.

وبكى على أبشالوم الذى خانه - وهو إبنه - ودخل على سراريه، وكوّن جيشاً ضده وحاربه، كما سنرى فيما بعد. إن داود لم يشمت مطلقاً فى موت أعدائه، بل بكى عليهم وحزن لموتهم

✠ ✠ ✠

٢ - مشكلة أخرى قابلت داود، تتمثل فى يوآب رئيس جيشه.

نعم يوآب ابن صرويه الذى قتل أبنير، ومعه أبيشاى أخوه، ولم يستطع داود وقتذاك أن يقف ضدهما ويعاقبهما.. وقال داود فى ذلك "أنا اليوم ضعيف وممسوح ملكاً. وهؤلاء الرجال بنو صرويه أقوى منى. يجازى الرب فاعل الشر كشره " (٢صم٣: ٣٩).

وقد ظلت قوة يوآب ضد داود قائمة إلى آخر حياته. بل كان يهدده أحياناً. حتى أن داود لما بكى على أبشالوم إبنه بعد موته، جاء يوآب ليوبخه ويهدده قائلاً له " لقد أخزيت اليوم وجوه جميع عبيدك منقذى نفسك اليوم ... بمحبتك لمبغضيك، وبغضك لمحبيك.. فالآن قم وأخرج وطيّب قلوب عبيدك. لأنى قد أقسمت بالرب : إنه إذا لم تخرج، لا يبيت أحد معك هذه الليلة. ويكون ذلك أشر عليك من كل شر اصابك منذ صباك إلى الآن " (٢ صم١٩: ٤– ٧). ولم يستطع داود أن يقاومه، فقام وفعل كما أراد يوآب ...

مع إيشبوشث

٣ – مشكلة ثالثة قابلت داود، وهى الفهم الخاطئ لبعض الناس فى إرضائهم له بقتل أعدائه!!

وهو كان نبيلاً نزيهاً من هذه الناحية. أما الجيل الذى عاش فيه فلم يكن فى مثل نبله. والأمثلة كثيرة، نذكر هنا منها :

إن أيشبوشث بن شاول، الذى نصبه أبنير ملكاً، لما سمع أن أبنير قد مات، ارتخت يداه وأرتاع معه جميع الشعب. فدخل عليه إثنان من رجاله – وهو مضطجع فى مخدع نومه، فقتلاه وقطعا رأسه وأخذاها إلى داود فى حبرون. وقالا له "هوذا رأس أيشبوشت بن شاول عدوك الذى يطلب نفسك. وقد أعطى الرب لسيدى الملك انتقاماً فى هذا اليوم من شاول ومن نسله " (٢صم٤: ٧، ٨) .

✠ ✠ ✠

ولكن داود، الملك العادل الذى لا ينتقم لنفسه، عاقب هذين اللذين بشّراه بقتل عدوه:

وقال لهما: حيّ هو الرب الذى فدى نفسى من كل ضيق، إن الذى أخبرنى إنه قد مات شاول، وكان فى عينى نفسه كمبشر، قبضت عليه وقُتل فى صقلع.. فكم بالحرى إذا كان رجلان باغيان يقتلان رجلاً صديقاً فى بيته على سريره!! فالآن أما أطلب دمه من أيديكما وأنزعكما من الأرض"؟ وأمر داود الغلمان فقتلوهما. وأما رأس أشبوشت فدفنوها فى قبر أبنير فى حبرون (٢صم٤: ٩– ١٢).

وهكذا كان داود درساً لشعبه فى نبل التصرف وفى إقامة العدل، والبعد عن الإنتقام .

ومن الناحية الإيجابية : لما سمع أن أهل يابيش جلعاد، أخذوا جسد شاول الملك بعد مقتله ودفنوه، أرسل إليهم رسلاً، وقال لهم"مباركون أنتم من الرب، إذ قد فعلتم هذا

المعروف بسيدكم شاول فدفنتموه. والآن يصنع الرب معكم إحساناً وحقاً. وأنا أيضاً أفعل معكم هذا الخير " (٢صم٢: ٥- ٧). وعزاهم وشددهم .

مع بيت شاول

★ ومن أجمل العبارات التى قالها داود، وتدل على نبله فى معاملة أعدائه هى قوله :

هل بقى أحد من بيت شاول، فاصنع معه معروفاً ؟ (٢صم٩: ١، ٣) .

فدلوه على مفيبوشت بن يوناثان بن شاول، وكان اعرج الرجلين، فاستدعاه داود فأتى إليه خائفاً، وقال له " أنا عبدك ". فطمأنه داود، وأعاد إليه كل حقول شاول وكل ما كان يملك، وأوصى عليه عبده صيبا ليخدمه، ودعاه ليأكل باستمرار على مائدة الملك. وأسكنه فى بيت فى أورشليم .

أحسن داود إلى كل بيت شاول عدوه، استجابة لطلب شاول الذى قال له "إنى علمت أنك تكون ملكاً، وتثبت بيدك مملكة إسرائيل. فأحلف لى الآن بالرب أنك لا تقطع نسلى من بعدى، ولا تبيد إسمى من بيت أبى". فحلف داود لشاول (١صم٢٤: ٢٠-٢٢). وبرّ داود بعهده لشاول .

وكذلك كان داود باراً بعهده ليوناثان صديقه (١صم٢٣: ١٨). وبرّ داود بعهده كعادته. وهكذا اهتم بمفيبوشت بن يوناثان وأكرمه كل الإكرام، وإن كان مفيبوشت قد خانه فيما بعد .

مع إبشالوم

ثار أبشالوم على أبيه داود، ونافسه فى ملكه، وصار له جيش حارب به أباه. ودخل على سرارى أبيه.. وضم إليه بعض مستشارى أبيه، مثل أخيتوفل الذى تآمر معه على قتل أبيه.. ومع كل ذلك لما احتدمت الحرب مع أبيه، أوصى داود قادة جيشه قائلاً "ترفقوا لى بالفتى أبشالوم" (٢صم١٨: ٥).

ولما مات أبشالوم فى الحرب، أنزعج داود "وصعد إلى علية الباب، وكان يبكى ويقول هكذا وهو يتمشى "يا أبنى ابشالوم يا أبنى، يا أبنى أبشالوم. لا ليتنى متّ عوضاً عنك، يا أبشالوم ابنى، يا ابنى" (٢صم١٨: ٣٣).



داود : أُخطاؤه وخطاياه

خطايا داود الرجل البَار

قال الكتاب عن إيليا النبى، الذى أغلق السماء وفتحها، والذى صعد إلى السماء فى مركبة نارية (٢مل٢: ١١) (يع٥: ١٧، ١٨).

" إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلنا " (يع٥: ١٧) .

وهكذا كان داود أيضاً –كسائر البشر – إنساناً تحت الآلام. كان يحب الله، ويريد أن يسلك فى طريق الخير. وكان نقياً بطبيعته، وله أعمال بر وصفات مقدسة سبق أن تحدثنا عنها. ولكنه كأى إنسان من الممكن أن يخطئ. فعلى الرغم من بره، كانت له ضعفات..

✠ ✠ ✠

لو كانت حياة داود كلها إنتصاراً، لحسبناه من طبيعة غير طبيعتنا !!

أو أنه من بشرية غير بشريتنا ..! ولكن أخطاء داود تعطينا فكرة إنه شخص مثلنا، مع سمو فى الدرجة. فإن كان على الرغم من ضعفاته البشرية، قد وصل إلى القداسة العظيمة التى حدثنا عنها الكتاب، وإلى تلك الصلة العميقة بالله، فإن هذا يشجع كل إنسان ضعيف، بأنه يمكنه أن يصل كما وصل داود .

وهكذا أعطانا الكتاب المقدس فكرة عن أخطاء الأنبياء والرسل، كما أعطانا التاريخ فكرة عن أخطاء القديسين، لكى نعرف هذه الحقيقة :

إنه ليس أحد بلا خطية، إلا واحد وهو الله (مت١٩: ١٧) .

منذ البدء، أخطأ أبوانا آدم وحواء (تك٣). وأخطأ أبونا إبراهيم لما خاف وقال عن سارة إنها إخته، وتسبب بذلك فى مشاكل (تك٢٠: ٢– ١٣). وأخطأ أبونا يعقوب لما خدع أباه اسحق (تك٢٧). وأخطأ سليمان الحكيم خطايا صعبة استحق بها عقوبة من الله (١مل ١١). وأخطأ بطرس الرسول إذ أنكر المسيح ثلاث مرات (مت٢٦: ٧٤، ٧٥) ...

وبالمثل أخطأ داود النبى أيضاً ...

✠ ✠ ✠

ليس معنى قداسة القديسين أنهم معصومون: فلا يمكن أن نقول عنهم إنهم بلا خطية، بالمعنى المطلق، الذى هو لله وحده .. إنهم أبرار، ولكنهم غير معصومين ...

كلمة قديس معناها أنه إنسان يحب الله من كل قلبه، ويجاهد فى سبيل الله بكل قوته. ويحاول بكامل إرادته أن يسلك فى طريق الرب. ولكن من الجائز أن الضعف البشرى

يوقعه فى أخطاء. وكما قال الكتاب " الصديق يسقط سبع مرات ويقوم " (أم٢٤: ١٦).

✠ ✠ ✠

فما الفرق إذن - فى السقوط - بين القديس وباقى الناس ؟

أ - الفرق الأول : هو أن القديس : القاعدة الأساسية فى حياته هى البر. أما الخطية بالنسبة إليه - إذا أخطأ - فهى شئ طارئ، عابر، شئ غير متوقع ولا منتظر. أما الخطاة، فإن الخطية هى فساد فى طبيعتهم. الخطية هى القاعدة الأساسية لحياتهم. وإن فعلوا براً، يكون ذلك شيئاً طارئاً فى حياتهم، وغير ثابت .

ب - كذلك فإن القديس إذا أخطأ، يقوم بسرعة من سقطته ولا يستمر فى الخطأ، لأن معدنه سليم. أما الخطاة ففى سقوطهم، ما أسهل أن يلتذوا بالخطية ويستمروا فيها ....

كذلك نوع الخطية يختلف بين سقطة القديس وسقطة الخطاة الآخرين ..

✠ ✠ ✠

ج - أما إن وقع قديس فى خطية بشعة - كداود - يظل تأثيرها مرارة نفس له باستمرار..

وقع بطرس الرسول فى خطية بشعة هى إنكاره للمسيح مع سبّ وحلف، فكانت النتيجة أنه " خرج خارجاً، وبكى بكاء مراً" (مت٢٦: ٧٥). وظلت هذه المرارة فى نفسه، حتى ساعة صلبه، إذ طلب أن يصلب منكس الرأس .

وبولس الرسول على الرغم من أنه اضطهد الكنيسة عن جهل قبل إيمانه بالمسيح، إلا أن المرارة ظلت فى نفسه طول حياته، حتى أنه قال " أنا الذى لست أهلاً أن أدعى رسولاً، لأنى اضطهدت كنيسة الله " (١كو١٥: ٩). وقال أيضاً " أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكننى رُحمت، لأنى فعلت ذلك بجهل فى عدم إيمان" (١تى١: ١٣).

✠ ✠ ✠

داود أيضاً صارت خطيته سبب دموع دائمة له وإنسحاق قلب.

ظلت تقلقه طول حياته. لم يكف قلبه عن الندم، ولا كفّت عيناه عن الدموع.. قال "تعبت فى تنهدى، أعوّم كل ليلة سريرى، وبدموعى أبلّ فراشى" (مز٦: ٦). وقال أيضاً "أبكيت بصوم نفسى.. جلعت لباسى مسحاً" (مز٦٩: ١٠، ١١) "من صوت تنهدى، لصق عظمى بلحمى.. أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابى بالدموع" (مز١٠٢: ٥، ٩). وقال للرب "أجعل دموعى فى زق عندك" (مز١١٩). وقال له أيضاً "أنصت إلى دموعى".

✠ ✠ ✠

د - القديس يخطئ عن ضعف، أما الخطاة العاديون فعن فساد وإصرار .

يخطئون فى كبرياء، وفى تحدٍ لله .. أما القديسون، فلأن الحرب كانت فوق قدرة إحتمالهم. أو جاءت فجأة، بغير إستعداد لها، أو وهم فى حالة فتور، فعجزوا عن مقاومتها. وهذا ما حدث فى خطية الزنى التى وقع فيها داود .

على أية الحالات، لو أن الشخص العادى تعرّض للحروب التى تعرّض لها القديسون وسقط، لكان سقوطه بدرجة أشدّ، وقيامه بدرجة أصعب ...

لقد أخطأ داود، وكانت له ضعفات كثيرة ذكرها الكتاب .

✠ ✠ ✠

ولم تكن خطية الزنى والقتل هى خطيته الوحيدة .

فمن ضمن خطاياه عدّ الشعب (٢صم٢٤: ١٠) .

ومن خطاياه محاولته أن يقتل نابال الكرملى عندما رفض أن يعطيه زاداً له ولرجاله (١صم ٢٥). ولولا أن أبيجايل إمرأة نابال تدخلت فى الأمر ونصحته، ومنعته عن الإنتقام لنفسه، لكان قد ارتكب فى تلك المناسبة شروراً كثيرة، وخلط عمل يديه بالدماء (١صم ٢٥: ٢٢). ولذلك قال داود لأبيجايل التى نصحته " إن الله أرسلك هذا اليوم لإستقبالى .. مبارك عقلك، ومباركة أنتِ، لأنك منعتنى اليوم من إتيان الدماء وإنتقام يدى لنفسى" (١صم٢٥: ٣٢، ٣٣) .

عجيب أن داود النبى الجبار، تمنعه عن الشر إمرأة عادية .

هى زوجة نابال الكرملى. وعجيب أن تلك المرأة فى ذلك الوقت كانت أكثر عقلاً وإتزاناً وحكمة من النبى العظيم مسيح الرب.. وكانت أكثر وداعة وهدوءاً من داود النبى. وكانت فى ذلك الوقت أكثر إتضاعاً منه أيضاً ...

✠ ✠ ✠

إن الكتاب يعطينا أمثلة من الذين وبخوا أنبياء ...

لما داود أخطأ فى عد الشعب، وبخه جاد النبى (٢صم٢٤: ١١). ولما وقع فى الزنى والقتل، وبخه ناثان النبى .. ولما أخطأ فى محاولته قتل نابال الكرملى، وبخته إمرأة ...

إنه أمر كبير أن يوبخ نبى الرب ومسيحه من إمرأة، ولكن الله أراد له أن يفيق، وأن المرأة فى وداعتها ورقتها، يمكن أن تخزى ما كان فى قلبه وقتذاك من قسوة وكبرياء .. !

يونان النبى - وهو نائم فى السفينة، لا يصلى - وبخه رئيس النوتية، وكان أممياً ..

وقال له " **مالك نائماً ؟! قم أصرخ إلى إلهك**" (يون ١: ٦) .

✠ ✠ ✠

ليس أحد بعيداً عن الخطأ. وما أجمل قول الرسول فى ذلك "لا تستكبر، بل خف" (رو ١١: ٢). وقوله أيضاً : "**من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط** " (١كو ١٠: ١٢) .

الحرص أفضل، والإحتراس أفضل. وليس أحد فوق إمكانية السقوط. فليبعد كل إنسان عن فكر الغرور. وليقل لنفسه " لست أنا أقوى من داود الذى سقط " .. فلأحترس لنفسى .

✠ ✠ ✠

تذكار داود لخطاياه، كان حصناً له من الكبرياء .

إنسان له كل تلك المواهب كداود، كان يمكن أن يحارب بالكبرياء أو يسقط بها. ولكن سمح الله أن تتخلى النعمة قليلاً عن داود، فيسقط، ويبكى ويندم، ويكتسب فضيلة الإنسحاق، وتصير دموعه له خبزاً نهاراً وليلاً .. فيحميه كل هذا من العظمة والمجد الباطل، فلا يرتفع قلبه .

✠ ✠ ✠

كان يضع خطيته أمامه فى كل حين (مز ٥١: ٣).

ولم ينسَ خطيته حتى بعد أن غفرها له الله ...

وكان يصلى ويقول للرب " لا تبكتنى بغضبك، ولا تؤدبنى بسخطك. ارحمنى يارب فإنى ضعيف. اشفنى فإن عظامى قد أضطربت، ونفسى قد أنزعجت جداً " (مز ٦) .

كان كل ذلك لفائدته الروحية. وقد استفاد داود من نتائج خطيته. تذللت نفسه من الداخل، ومن الخارج أيضاً .

ولما شتمه شمعى بن جيرا، منع أعوانه من قتله. وقال لهم "دعوه يسبّ، لأن الرب قال له سبّ داود " (٢صم١٦: ٩، ١٠) .

وعندما أخطأ إبنه امنون مع ثامار (٢صم١٣). ولما أخطأ إبنه أبشالوم مع سراريه (٢صم١٦: ٢٢).. لم يجرؤ داود أن يوبخ أحداً منهما.. كانت خطيته أمامه تبكته، وكذلك كانت نتائجها وعقوبتها (٢صم١٢: ١١) ...

كان قلبه حساساً جداً من جهة علاقته بالله .

كان نفس الرجل القديس، بعد سقوطه.

قداسته فى إنسحاقه، لا تقل عن القداسة فى العفة وفى البر ...

خطية لم تكمل
أنقذته منها إمرأة

فى أثناء هرب داود من مطاردة شاول له، عسكر هو ورجاله فى أرض من أملاك رجل يسمى نابال الكرملى. وهو رجل غنى، ولكنه كان بخيلاً وقاسى القلب ...

وقد قام داود بواجب الحراسة على أملاك نابال، فما حدث إعتداء من أحد على أرضه ولا على غنمه. وهكذا عاش داود ونابال فى سياسة حسن الجوار .. إلى أن أتى الوقت الذى يجز فيه نابال صوف غنمه. ويحدث هذا دائماً عند إقتراب الصيف، فلا تحتمل الغنم ثقل الصوف مع حرارة الجو. فيستقدم صاحب الغنم جماعة من الجزازين لهذه المهمة. وهكذا تستريح الغنم من ثقل الصوف، وفى نفس الوقت يكون هذا الصوف ثروة لصاحب الغنم.

وفى تلك المناسبة كانت تقام الولائم للجزازين وللجيران والأصدقاء. وكان داود يظن أنه من الذين سيكرمهم نابال فى هذه المناسبة، وبخاصة وهو بلا مأوى وبلا مورد. وكان أحق الناس بالإكرام، لأنه قام بحراسة الغنم لوجوده فى المنطقة .

✠ ✠ ✠

وهكذا أرسل داود عشرة غلمان إلى نابال برسالة كلها مودة وتواضع، يطلب ما تجود به يده .

وقال للغلمان " اصعدوا إلى الكرمل، وادخلوا إلى نابال. واسألوا باسمى عن سلامته. وقولوا له هكذا : حييت وأنت سالم، وبيتك سالم، وكل مالك سالم. والآن قد سمعت أن عندك جزازين. حين كان رعاتك معنا لم نؤذهم، ولم يفقد لهم شئ كل الأيام التى كانوا فيها فى الكرمل. أسأل غلمانك فيخبروك. فليجد الغلمان نعمة فى عينيك، لأننا جئنا فى يوم طيب. فإعطِ ما وجدته يدك لعبيدك ولإبنك داود " (١صم٢٥: ٥ – ٨) .

✠ ✠ ✠

واضح أن عبارة (عبيدك وإبنك داود) فيها مع الطلب لون من الذلة، وكأنه يستجدى. فلماذا سمح الله لمسيحه داود بهذا الموقف؟!

داود القائد العظيم الممسوح من الله ملكاً، الذى هتفت له النساء (١صم١٨: ٧) والذى كان يخافه الملك شاول (١صم١٨: ٢٩).. داود هذا يذل إلى درجة أن يطلب طعاماً لنفسه ورجاله بهذا الإسلوب!!

الحقيقة إن الله أراد له أن يتدرب ويتأدب بهذا الأسلوب قبل أن يتسلم مقاليد الملك. يتجرب بالإحتياج والمذلة. حتى إذا ما جلس على عرش الملك، يشفق على المحتاجين والمذلين. وأيضاً يجرب ضغط غيره عليه، حتى لا يضغط فيما بعد على غيره. وفى هذا قال القديس بولس الرسول " اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم. واذكروا المذلين كأنكم أيضاً فى الجسد " (عب١٣: ٣٣). وقال الرب من قبل " احبوا الغريب، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر" (تث١٠: ١٩) " .. إنكم عارفون نفس الغريب، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر " (خر٢٣: ٩) .

✠ ✠ ✠

وسمح الله لداود بهذه التجربة مع نابال، حتى يعرف داود ضعفات نفسه .

لما أوصل الغلمان رسالة داود إلى نابال، احتقرها، وأجاب بجفاء وكبرياء قائلاً " من هو داود، ومن هو إبن يسى؟! قد كثر اليوم العبيد الذين يفحصون كل واحد أمام سيده. آآخذ خبزى ومائى وذبيحى الذى ذبحت لجازىّ، وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم ؟!" (١ صم٢٥: ١٠، ١١). ووصلت هذه الإجابة إلى داود، وأحدثت ردود فعلها عنده. فتقلد داود سيفه، وأمر رجاله أن يتقلدوا كل واحد سيفه، وصعد لقتل نابال وكل من له وكل ماله. وصعد وراء داود نحو من أربعمائة رجل .

✠ ✠ ✠

وهكذا رأينا أن داود المتواضع، كان فى داخله وحش نائم فى أحشائه استيقظ فى الحين المناسب .

ظهرت هذه الخطية التى كانت مخفاة فى داخله، كشفها بخل نابال واحتقاره لداود. إننا نصلى فى المزمور ونقول " اذكر يارب داود وكل دعته " (مز١٣١: ١). أما الآن فقد ظهر الوحش الكاسر الذى فى قلبه، الذى كثيراً ما قتل من قبل وسفك دماء كثيرة ...

قال داود وهو متقلد سيفه مع رجاله " إنما باطلاً حفظت ما لهذا فى البرية، فلم يفقد من

كل ماله شئ، فكافأنى شراً بدل خير. هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا يزيد، إن أبقيت من كل ما له إلى الصباح بائلاً بحائط " (١صم٢٥: ٢١، ٢٢) .

إذن الشر كان قد أعدّ لنابال وكل بيته. فمن المنقذ ؟

✠ ✠ ✠

هنا تدخلت أبيجايل زوجة نابال، لإنقاذ الموقف .

كانت إمرأة جيدة الفهم وجميلة الصورة (١صم٢٥: ٣). أخبرها أحد غلمانها بكل ما حدث، وامتدح ما قام به داود ورجاله من حراسة لهم، وقال عنهم : كان الرجال محسنين إلينا جداً. فلم نؤذ، ولا فقد منا شئ كل أيام ترددنا معهم ونحن فى الحقل .

كانوا سوراً لنا ليلاً ونهاراً كل الأيام التى كنا فيها معهم نرعى الغنم " (١صم٢٥: ١٤ - ١٦) .

وكان على أبيجايل أن تتصرف بسرعة قبل وقوع الكارثة .

وتتصرف من غير زوجها، وبدون علم زوجها .

مادام ذلك الزوج كان أحمق فى تصرفه، فما كان من الحكمة أن تستشير حماقته، أو أن تترك لحماقته إدارة الموقف. إنها الآن بصدد إنقاذه وإنقاذ كل البيت من الخطر القادم. وهو خطر ليس من إنسان عادى، وإنما من أحد أبطال الحرب، ومن رجل يعرف الكل أن الرب معه .

✠ ✠ ✠

وبدأت فى تهدئة مشاعر داود، بهدية تقدمها .

وهذه الهدية تمسح بها ذنب زوجها البخيل، وتحقق بها الطلب الذى كان قد طلبه داود حينما أرسل غلمانه إلى نابال " فبادرت وأخذت مئتى رغيف خبز، وزقى خمر، وخمسة خرفان مهيأة، وخمس كيلات من الفريك، ومئتى عنقود من الزبيب، ومئتى قرص من التين. ووضعتها على الحمير، وقالت لغلمانها اعبروا أمامى. وركبت على حمارها ومضت لإستقبال داود ولم تخبر رجلها " (اصم ٢٥: ١٨- ٢٠) .

قطعاً لو أنها أخبرت نابال بأنها ستحمل كل هذه الكمية من الطعام إلى داود، كان يطردها من البيت أو يطلقها ..!

هناك أمور تضطر المرأة الحكيمة أن تعملها بدون علم زوجها، وبخاصة إن كانت بصدد إنقاذه من نفسه، وهو رافض لذلك .. إن كان زوجها لا يحب الخير، ويمنعها من

عمل الخير، فستضطر إلى عمل ذلك فى الخفاء .. فكم بالأولى تضطر إلى ذلك إن كانت ستنقذ البيت كله من كارثة .. وهكذا تصرفت أبيجايل .

✠ ✠ ✠

وفى حكمتها، أضافت إلى هديتها، كل مشاعر الإتضاع .

لما رأت داود " أسرعت ونزلت عن الحمار، وسقطت أمام داود على وجهها، وسجدت إلى الأرض. وسقطت على رجليه وقالت : علىّ أنا يا سيدى هذا الذنب. ودع أمتك تتكلم فى أذنيك. واسمع كلام أمتك. ولا يضعن سيدى قلبه على هذا الرجل اللئيم ".

واضح كلام الإتضاع فى قولها " سيدى " و " أمتك ". وقد تكرر هذا التعبير مراراً كثيرة فى كلامها. كذلك سجودها أمامه، وسقوطها عند قدميه .

ومن مظاهر إتضاعها إعتذارها عن خطأ نابال .

بقولها " علىّ أنا يا سيدى هذا الذنب " وقولها " هذا الرجل اللئيم.. والحماقة عنده". وقالت أيضاً لداود " وأنا أمتك لم أرَ غلمان سيدى الذين أرسلتهم .. " .

✠ ✠ ✠

ووسط هذا الإعتذار، أدخلت عبارة توبيخ باسلوب مديح .

فقالت " والآن يا سيدى : حىّ هو الرب، وحية هى نفسك، إن الرب قد منعك عن إتيان الدماء وإنتقام يدك لنفسك " .

فأظهرت له أنه كان فى سبيل إرتكاب خطيتين : القتل (إتيان الدماء) والإنتقام (إنتقام نفسه لنفسه). وهما خطيئتان لا تليقان بنبى مثله، له شهرة معروفة ...

ولم تقل له إنها هى التى منعته عن الإنتقام والقتل، وإنما قالت "إن الرب قد منعك ". ففى نفس الوقت الذى لم تفتخر فيه بأنها هى التى منعته عن الخطأ، أظهرت بعبارة " الرب قد منعك "، أن تصرفه لا يرضى عنه الله بل يمنعه ..

أما عن نابال وتصرفاته، فقالت له " ليكن كنابال أعداؤك الذين يطلبون الشر لسيدى ". وهنا ذكرته بأن له أعداء يريدون الشرّ به. فمن الأفضل ألا يطلب هو الشر لأعدائه .

✠ ✠ ✠

كانت أبيجايل من النوع الذى يقول كلمة ناعمة وراءها كلمة شديدة. ثم كلمة شديدة بعدها كلمة ناعمة .

أو من النوع الذى يقول عنه المثل البلدى " يضرب ويلاقى " .

فبعد كلمة التوبيخ التى قالت فيها " إن الرب منعك عن إتيان الدماء وإنتقام نفسك لنفسك " عادت تقول " والآن خذ هذه البركة التى أتت بها جاريتك إلى سيدى. فلتعطَ للغلمان السائرين وراء سيدى. واصفح عن ذنب أمتك " (١صم٢٥: ٢٧، ٢٨) .

فهى لم تظهر بمظهر المحسن إلى إنسان جائع .

وإنما قالت إنها قدمت هذه الهدية ليعطيها للغلمان السائرين وراءه (وراء سيدى). فهو سيد، ويقدم ما تعطيه إلى غلمانه. والتى تعطى هى جاريتك، وتعطيها إلى سيدها. وتطلب صفح سيدها عن أمته .

إسلوب إتضاع عجيب يخفى إحسانها إليه. وهو فى نفس الوقت درس لمن يقدمون إلى غيرهم معونة بلون من التعالى. أما أبيجايل، فقدمت بإسلوب جارية تقدم إلى سيدها، لكى يعطى ما تقدمه للغلمان السائرين وراءه. وهى تقدم باسلوب أمة تطلب الصفح عن ذنب إرتكبه زوجها، فاعتبرته ذنباً لها ...

✠ ✠ ✠

حقاً إن التوبيخ الجارح لا يصلح علاقات، بل الكلمة الطيبة هى التى تصلح .

وعادت أبيجايل إلى إسلوب مديح تهدئ به قلب داود الغاضب، فذكّرته بوعود الله له قائلةً " لأن الرب يصنع لسيدى بيتاً أميناً. لأن سيدى يحارب حروب الرب، ولم يوجد فيك شرّ كل أيامك. وقد قام رجل ليطاردك ويطلب نفسك. ولكن نفس سيدى لتكن محزومة فى حزمة الحياة مع الرب إلهك. وأما نفس أعدائك، فليرمَ بها كما من وسط كفة المقلاع " (١ صم٢٥: ٢٨، ٢٩) .

كلام كله مديح، وكله إحترام وتقدير. وكلام ممزوج بالإتضاع وبعبارة (سيدى) وأيضاً يحمل كلامها شعورها بما يحيق بداود من آلام ومطاردات، وإنضمامها إليه بكل مشاعرها، ودعائها من أجله. وعبارة (المقلاع) تذكره بإنتصاره على جليات.

✠ ✠ ✠

والعجيب أنه وسط كل هذا المديح العميق، عادت تنصحه فيما كان ينوى أن يرتكبه من قتل وإنتقام .

فقالت له " ويكون عندما يصنع الرب لسيدى حسب كل ما تكلم به من الخير من اجلك، ويقيمك رئيساً على إسرائيل، إنه لا تكون لك هذه مصدمة ومعثرة قلب : إنك قد سفكت دماً عفواً، أو أن سيدى قد إنتقم لنفسه " (١صم٢٥: ٣٠، ٣١) .

إنها تكلمه بإسلوب إنسان يعرفه ويقدره. زوجها نابال قال عنه "من هو داود؟ ومن هو ابن يسى؟!" (١صم٢٥: ١٠). أما هى فتعرف من هو داود ؟ هو الإنسان الذى وعده الله بكل خير، وأنه سيقيمه ملكاً على إسرائيل. فهو إذن الملك المنتظر، مسيح الرب، الذى بكل ضمير صالح تسجد أمامه، وتقول له سيدى. وهى تعرف عنه أيضاً إنه " يحارب حروب الرب " ولم يوجد فيه شر كل أيامه ... ولكن ..

ولكن أبيجايل لم تكن فقط معتذرة عن خطأ إرتكبه نابال، إنما أيضاً ناصحة بخصوص خطأ لا تريد لداود أن يرتكبه .

كانت صغيرة أمامه فى سجودها عند قدميه، وفى عبارات سيدى وجاريتك، وأمتك. ولكنها كانت كبيرة كناصحة ومرشدة .. وكانت أيضاً قلباً كبيراً يشفق عليه من إرتكاب الشر، ويريد أن يحميه من خطيئة تكون له فى المستقبل مصدمة ومعثرة قلب، وتشوّه صورته الجميلة كمسيح للرب، وكإنسان بار لم يوجد فيه شر كل أيامه ...

إنه إنسان يحارب حروب الرب، فلا يليق به أن يحارب إنتقاماً لنفسه ..

✠ ✠ ✠

واختتمت حديثها له فى كل ما يحوى من إعتذار وإتضاع ونصح، بقولها " وإذا أحسن الرب إلى سيدى، فاذكر أمتك " .

تذكرنى هذه العبارة الأخيرة بقول اللص التائب للسيد المسيح على الصليب " اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" (لو٢٣: ٤٢).

كان داود فى ذلك الحين، يحمل صليبه من شاول الملك، فى آلام مستمرة ولكن أبيجايل كانت تؤمن أن الرب سوف يحسن إليه ويقيمه رئيساً وملكاً. فطلبت منه أن يذكرها متى جاء الملك إليه .. وقد كان. وكما قال الرب للص " اليوم تكون معى فى الفردوس".. هكذا صارت أبيجايل مع داود زوجة له، بعد موت زوجها نابال (١صم٢٥: ٣٩- ٤٢) .

إن حكمة أبيجايل فى هديتها وإتضاعها ومديحها ونصيحتها.. كل ذلك ترك أثره العميق فى داود .

فقال لها " مبارك الرب إله إسرائيل، الذى أرسلك هذا اليوم لإستقبالى. ومبارك عقلك، ومباركة أنت، لأنك منعتنى اليوم عن إتيان الدماء وإنتقام يدى لنفسى .. " " وأخذ داود من يدها ما أتت به إليه. وقال لها : إصعدى بسلام إلى بيتك. أنظرى قد سمعت لصوتك،

ورفعت وجهك " (١صم٢٥: ٣٢- ٣٥) .

بسماعه صوتها، سمع صوت ضميره، واستجاب للخير الذى فيه .

وهذه الخطية التى عزم على إرتكابها، لم ينفذها عملياً. ولكنها كانت فى قلبه لولا أبيجايل (١صم٢٥: ٣٤) .

صارت أبيجايل زوجة له فيما بعد، لتكون معينة له بحكمتها. وأنجب منها إبنه كيلآب (٢صم٣: ٣) وهو ثانى أبنائه. ولما دخل حبرون كملك كانت معه (٢صم٢: ٢، ٣) .

سقطة داود الكبرى

كان داود النبى يتحلى بالكثير من الفضائل .

كان له النبل العجيب، والإحسان إلى مبغضيه، وإحترام الكبار إحتراماً يفوق الوصف. وكان إنساناً شجاعاً، جبار بأس، ومع ذلك يتحلى بالوداعة وإتضاع القلب أمام الله والناس. وكان يتميز بالأدب الجم، وتوجد حلاوة فى طبعه، مثل الحلاوة التى كانت فى عينيه.

وكان شاعراً رقيق الحسّ، وموسيقياً يحسن الضرب على العود، ويحسن العزف على المزمار والقيثار والعشرة الأوتار. كما أنه يحسن الغناء، حتى تسميه الكنيسة مرنم إسرائيل الحلو، ويلقبه الكتاب بإمام المغنين. وله صفات جميلة كثيرة، ذكرناها فى الباب الأول فى حديثنا عنه كإنسان متعدد المواهب ...

✠ ✠ ✠

ومع ذلك كله كانت توجد فيه بعض نقاط ضعف، أسقطته .

ولعل من أبرز نقاط ضعفه محبته للنساء، وسقطته الكبرى التى سنتحدث عنها الآن، إذ سقط مع بثشبع زوجة أوريا الحثى .. على الرغم من أنه كانت له فى ذلك الوقت سبع نساء : أخينوعم اليزرعيلية، وأبيجايل أرملة نابال الكرملى، ومعكة بنت تلماى ملك جشور، وحجيث، وأبيطال، وعجلة (٢صم٣: ٢- ٤)، بالإضافة إلى ميكال إبنة شاول الملك ...

✠ ✠ ✠

ولكن داود الذى لم يقوَ عليه جليات الجبار، قويت عليه إمرأة!

داود الذى لم يقوَ عليه شاول الملك ولا قائد جيشه، ولا يوآب بن صرويه قائد جيشه هو، قدرت على إسقاطه بثشبع ... ولكى لا نظلم المرأة ... لا نقول إن المرأة هى التى

أسقطته، وإنما أسقطه ضعفه أمام إغراء النساء. كان فى طبيعة تلك المرأة أو فى جمالها، ما عجز هو عن مقاومته، حتى لو لم تسع المرأة لإسقاطه..!

وهكذا سقط الجبار، وصدق قول إبنه سليمان الحكيم فى سفر الأمثال، عن هذه الخطية بالذات، إنها :

" **طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء** " (أم٧: ٢٦) .

حقاً، إنه فى حياة كثير من الجبابرة، توجد نقاط ضعف، يسمح الله بها لكى نعرف أن الطبيعة البشرية ما أسهل أن تميل وأن تضعف، على الرغم من وجود ميزات أخرى فيها..!

✠ ✠ ✠

ولكن، كيف سقط داود ؟

يقول الكتاب إن فى وقت المساء " قام داود عن سريره، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى إمرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل رسلاً وأخذها .. وأخطأ إليها " (٢صم١١: ٢- ٤). وحبلت المرأة، وأعلم داود. وأخذ يفكر كيف يتخلص من نتائج الخطية ...

ولعل هذه الخطية قد سبقتها مقدمات أوصلت إليها .

كان داود قد بدأ يدخل فى حياة الرفاهية ...

قديماً كان يقود الجيش بنفسه .. أما الآن ففى الحرب " أرسل يوآب، وعبيده معه، وجميع إسرائيل " (٢صم ١١: ١). وبقى هو فى القصر، يتمشى على السطح، ويسمح لنفسه أن ينظر إلى إمرأة تستحم !! حقاً إن خطوة فى الخطية، يمكن أن تقود إلى أخرى..

داود وهو مطارد من شاول، هارباً من برية إلى أخرى، ما كانت أمامه فرصة للخطأ. أما داود الذى يعيش حياة الرفاهية فى "بيت الملك"، ولا يحارب، بل يرسل الجيش ليحارب، صارت له حروبه الداخلية بدلاً من حروب الأعداء .

✠ ✠ ✠

هناك نقطة أخرى ذكرها الآباء القديسون، حينما قالوا :

كل خطية : تسبقها إما الشهوة، أو الغفلة، أو النسيان .

كثير من الناس فى ساعة الخطية، يكونون فى حالة غفلة .. لا يشعرون أثناءها بما يفعلون، ولا يقدرون على ضبط أنفسهم، بل لا يحاولون ذلك ... وربما بعد الخطية يفيقون

ويستيقظون، ويضربهم قلبهم ضرباً شديداً، ويوجعهم ضميرهم، ولكن بعد فوات الفرصة..

ولعل داود كان فى حالة الغفلة هذه !!

وكان بعيداً وقتها عن المزمور والمزمار !

ما كان يدرك ما يفعل ... بل كل تفكيره كان فى شهوته أولاً، ثم فى الهروب من نتائجها ثانياً. وحاول بكافة الطرق أن يغطى الخطية بحيلة بشرية، بورقة تين آدمية، بلون من الخداع، باستدعاء أوريا زوج المرأة لكى يضطجع معها، ويحسب حبلها منه. ولكن الرجل كان أكثر نبلاً وعفة من داود وقتذاك، فرفض بعزة نفس، وقال كيف يكون الجيش فى خيام على وجه الصحراء " وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع إمرأتى. وحياتك وحياة نفسك، لا أفعل هذا الأمر " (٢صم١١: ١٠، ١١) .

✠ ✠ ✠

ولما فشل داود أمام أوريا الحثى، دبرّ لقتله !!

بأن يضعه فى مقدمة الجيش فى موضع خطر، ليموت. ومات فعلاً وأعتبرت هذه منه جريمة قتل. وأنبئ داود بمقتل أوريا، فلم يبالِ، ولم يبكِ عليه مثلما بكى على شاول وعلى أبنير، وإنما أرسل إلى يوآب قائد الجيش يقول له "لا يسؤ هذا الأمر فى عينيك، لأن السيف يأكل هذا وذاك " (٢صم١١: ٢٤، ٢٥) .

بل حدث أكثر من هذا، أنه لما تمت أيام مناحة بتشبع على زوجها " أرسل داود، وضمها إلى بيته، وصارت له إمرأة، وولدت له إبناً " ... !

✠ ✠ ✠

وإلى ذلك الوقت، كان ضميره نائماً، واحتاج إلى من يوقظه.

لم يكن داود النبى مسيح الرب هو الذى يتصرف، إنما الحيوان الكامن فى أحشائه، الشهوة والغفلة والنسيان ... وكان يتدحرج إلى أسفل من خطية إلى خطية، وهو ساهٍ عن نفسه .. ! إنه ملك، يتصرف بسلطان الملك : يأمر فيحضرون له المرأة، يأمر فيقتلون له رجلها، يأمر فتصير له زوجة، وتعيش فى بيته، وتصير الثامنة بين نسائه ... لا وبخه ضميره، ولا أوجعه قلبه. ولا ندم فى داخله، ولا شعر أنه أخطأ، ولا طلب مغفرة ... وهنا يقول الكتاب :

"وأما الأمر الذى فعله داود، فقبح فى عينى الرب " (٢صم١١: ٢٧) .

✠ ✠ ✠

لم يكن هناك سلطان أعلى من داود فى أرضه، فلابد من سلطان السماء ليتدخل. لم نسمع أن أحداً وبخ داود على كل ما فعل، فكان لابد أن يرسل له الله من يوبخه. وهكذا أرسل له ناثان النبى، الذى ضرب له مثالاً يشعره فيه ببشاعة فعله. ولكنه ما كان يحسّ أن المثال ينطبق عليه، فقال فى براءة وشهامة من يدافع عن الحق ويقيم العدل : " حىّ هو الرب، إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك " فقال له ناثان : " أنت هو الرجل " (٢صم١٢: ١ - ٧) .

✠ ✠ ✠

وأعلن ناثان عقوبة أرضية أوقعها الله على داود، ووبخه بشدة .

إن الله لا يجامل أولاده فى أخطائهم. وكما يقيم العدل على غير المؤمنين، يقيمه أيضاً على النبى مسيح الرب ويعاقبه. وكما قال فى البدء لقايين إن " صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض " (تك٤: ١٠)، وهكذا أيضاً كان دم أوريا الحثى صارخ إلى الله ضد داود. فواجه الرب داود قائلاً " قد قتلت أوريا الحثى بالسيف، وأخذت إمرأته لك إمرأة ... والآن لا يفارق السيف بيتك ". وأعتبر الرب أن الخطية موجهة إليه، فقال لداود " أنت أحتقرتنى، وأخذت إمرأة أوريا الحثى " ... وفرض عليه عقوبة (٢صم١٢: ٧- ١١).

إن الله يرى ما يعمل فى السرّ ويعاقب عليه. وينتقم لهابيل ولأوريا الحثى، ممن كان أقوى منهما ...

✠ ✠ ✠

نستطيع أن نقول إن داود إستفاد من نتائج خطيته .

استيقظ، وشعر بذنبه واعترف به قائلاً " قد أخطأت إلى الرب". فأجابه ناثان " الرب أيضاً قد نقل عنك خطيئتك، لا تموت " (٢صم١٢: ١٣) ... نقلها من حسابك إلى حساب المسيح ليحملها نيابة عنك ويموت عنها .

بدأ داود يشعر بعمق خطيته، ويقوده هذا إلى التوبة، وإلى إنسحاق القلب، وإلى ينبوع من الدموع لا ينضب .

وأعطته السقطة مذلة قلب وإتضاع فكر .

حتى أنه أثناء هربه من أبشالوم، لما قابله شمعى بن جيرا، وسبّه مسبة شديدة، وأخذ يرشقه بالحجارة. وقال له " أخرج أخرج يا رجل الدماء ورجل بليعال .. ". واراد أصحاب داود أن يقتلوا شمعى بن جيرا، منعهم داود من ذلك وقال لهم " دعوه يسب. لأن

الرب قال له سبّ داود " (٢صم١٦: ٥- ١٠) .

✠ ✠ ✠

وكانت التوبة التى تبعت سقطته، ينبوعاً لمشاعر عميقة تدفقت فى مزاميره .

منها قوله "يارب لا تبكتنى بغضبك، ولا تؤدبنى بسخطك. ارحمنى يارب فإنى ضعيف. اشفنى فإن عظامى قد أضطربت ونفسى قد انزعجت جداً" (مز٦: ٢،١). وقوله أيضاً "تعبت فى تنهدى. اعوّم فى كل ليلة سريرى، وبدموعى أبل فراشى" (مز٦: ٦). وبسبب هذه السقطة قال مزمور التوبة العجيب، المزمور الخمسين:

وقال فيه "ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك ... انضح علىّ بزوفاك فاطهر، واغسلنى فأبيَض أكثر من الثلج ... اصرف وجهك عن خطاياى، وامح كل آثامى " (مز٥٠) .

✠ ✠ ✠

سمح الله بسقطة داود، لتحمى فضائله من الإفتخار .

حتى لا يتكبر ولا يتعجرف ولا ينتفخ، بكثرة فضائله وكثرة مواهبه وكثرة إنتصاراته ... لقد سقط داود وقام. قام باكياً ومنسحقاً أمام الله. وقدّم لنا مثالاً رائعاً للتوبة والدموع، حتى قال صارت لى دموعى طعاماً نهاراً وليلاً. " مزجت شرابى بالدموع". " أجعل دموعى فى زق عندك " (مز١١٩) " إنصت إلى دموعى"...

✠ ✠ ✠

بالإضافة إلى ذله الداخلى، سمح له الله بإذلال آخر .

فمنعه من بناء الهيكل. وأعد داود كل شئ لإبنه سليمان ليبنيه. أعد له الذهب والفضة، والخشب والحجارة. وكل شئ .

كان الله قد قال له " إنك أنت لا تبنى البيت، بل إبنك الخارج من صلبك هو يبنى البيت لإسمى " (١مل٨: ١٩) (٢أى٦: ٩) .

وهكذا كان داود مذلولاً أمام نفسه، ومذلولاً أمام الله .

لقد سقط داود المتزوج بسبع نساء، ولم يسقط يوسف الصديق فى نفس الخطية، مع أنه كان أعزب فى ذلك الوقت، وكانت الخطية هى التى تطلبه وتلح عليه. المهم إذن فى نقاوة القلب من الداخل .

✠ ✠ ✠

سقطة داود أثبتت أن الحصانة الخارجية لا تكفى، فلابد من حصانة فى الداخل .

السبع زوجات لم يكن كافيات لمنعه من الوقوع فى شهوة إمرأة ثامنة. كما أن كل

أشجار الجنة لم تمنع حواء وآدم من إشتهاء شجرة أخرى .. إذن فليحاول كل إنسان أن تكون له نقاوة داخلية فى قلبه، فهى التى تمنع عنه الخطية بنعمة الله، كما قال الكتاب :

"فوق كل تحفظ إحفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة "(أم٤: ٢٣)

مع ذلك نحن لا نريد أن نظلم داود كثيراً .

✠ ✠ ✠

الله كان يعرف أن خطاياه هى خطايا ضعف .

القاعدة الأساسية إنه كان يحب الله. ولكن عن ضعف كان يسقط. مثلما سقط بطرس الرسول، وعلى الرغم من ذلك قال للرب " أنت يارب تعلم كل شئ. أنت تعلم أنى أحبك " (يو ٢١: ١٧). خطيته أيضاً – فى إنكار المسيح – كانت خطية ضعف .

لذلك نجد أن الله قال عن داود على الرغم من سقطاته :

" **فحصت قلب داود، فوجدته حسب قلبى** " .

ولما سقط سليمان قال عنه الكتاب إنه فى شيخوخته " لم يكن قلبه كاملاً مع الرب مثل قلب داود أبيه " (١مل ١١: ٤) .

ولما عاقب الرب سليمان بتمزيق مملكته، قال له " إلا إنى لا أفعل ذلك فى ايامك من أجل داود أبيك .. على أنى لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطى سبطاً واحداً لإبنك، لأجل داود عبدى..." **(١مل ١١ : ١١- ١٣) .**



السنوات الأخيرة لداود الملك

نقطة فاصلة

إن خطـية داود الملك التى ارتكبها من جهة الزنا بإمرأة أوريا الحثى مع العمل على مقتل هذا القائد.. كانت نقطة تحول فى حياة داود الذى كان قلبه – من قبل- كاملاً أمام الله (١مل١١: ٤).

وبها دخل داود فى مرحلة من التخلى إذ عاقبه الله..

وأثبت الله – تبارك اسمه – أنه لا يجامل أحباءه إن أخطأوا...

فكيف كان ذلك؟ فلنتتبع الأحداث إذن..

✠ ✠ ✠

١ – ذكرت خطية زنا داود فى الاصحاح ١١ من سفر صموئيل الثانى.

وقـد حاول التستر عليها بقدر ما يستطيع. ولما لم يقدر دبر مقتل الزوج أوريا الحثى فى الحرب. ولما أتاه خبر مقتله، قابل الأمر بلا مبالاة. وقال ليوآب رئيس الجيش "لا يسؤ فى عينيك هذا الأمر. لأن السيف يأكل هذا وذاك" (٢صم١١: ٢٥). ولما انتهت فترة ندب بثشبع لزوجها أوريا، "أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً".

"أما الأمر الذى فعله داود، فقبح فى عينى الرب" (٢صم١١: ٢٧).

فترات العقوبة والتخلى

١ – بدأ الرب بعقوبة لداود أرسلها بفم ناثان النبى.

مـنها "لا يفارق السيف بيتك" "أقيم عليك الشر من بيتك". وقال له الرب "من أجل أنك بهذا الأمر قد جعلت أعداء الرب يشمتون" (٢صم١٢: ١٠، ١١، ١٤).

✠ ✠ ✠

٢– والضربة الثانية هى موت ابن داود(٢صم١٢: ١٥– ١٨)

علـى الرغم من صومه وصلاته وتذللـه لأجل حياة الطفل. غير أن الله لم يقبل كل

ذلــك منه، وأمات إبنه (الذى وُلد من الزنا) وحسناً فعل الرب بإماتة ابن داود. وإلا لصار هذا الابن بكراً لسليمان الذى خلف داود فى ملكه.

واستسلم داود لهذا الحكم الإلهى، وقال عن ابنه "أنا ذاهب إليه. أما هو فلا يرجع إلىّ" (٢صم١٢: ٢٣).

✠ ✠ ✠

٣ – الضربة الثالثة خطيئة ابنه أمنون مع ثامار أخته.

وقد وردت بعد ذلك فى (١صم١٣). وكانت نتيجتها أن أبشالوم اخا ثامار (شقيقها) قام بقتل أمنون (أخيه من أم أخرى) [٢صم١٣: ٢٨، ٢٩].

ففقــد داود ابناً له، مع إفساد ابنة له. وهكذا دخل الفساد إلى بيته، وأضطر أن يحتمل هذا العار.

وبدا أن يد الرب صارت عليه، وأنه قد دخل فى سلسلة من العقوبات. ولم يستطع داود أن يفعــل شيئاً ضد أمنون فى اغتصاب أخته ثامار، ولا شيئاً ضد أبشالوم فى قتله لأخيه أمنون. لأنه شعر أن المشكلتين كلتيهما كانتا عقوبة من الرب له...

✠ ✠ ✠

٤ – بعــد ذلك نرى فى (٢صم١٣– ١٧) أن مشاكل أبشالوم قد أخذت تزداد. فصار ينافس أباه داود فى ملكه.

"اتخــذ لنفســه مركبة وخيلاً وخمسين رجلاً يجرون قدامه. وكان يقف بجانب طريق الــباب. وكل صاحب دعوى آتٍ إلى الملك لأجل الحكم كان أبشالوم يدعوه إليه.. ويقول: مــن يجعلنى قاضياً فى الأرض فيأتى إلىّ كل إنسان له خصومة ودعوى فأنصفه" (٢صم ١٥: ١– ٤).

✠ ✠ ✠

٥ – الضــربة الخامســة لــداود أن أبشالوم أقام فتنة وحرباً ضد أبيه، وانضم إليه أخيتوفل مشير داود.

وبهــذا تعــرض لخيانة من أحد كبار رجاله الذى كان يقدم مشورات لأبشالوم لتحطيم داود وقطــع العلاقــة بينه وبين ابنه بلا رجعة. وانضم إلى الخيانة كثيرون أيضاً وتبعوا أبشالوم الذى صار له جيش. وكل هذا كان يحز فى نفس داود.

✠ ✠ ✠

٦ – وبدأت خيانة أخرى من جانب سبط بنيامين تزعمها شمعى بن جيرا.

هذا الذى خرج يسب داود ويقول له "أخرج أخرج يا رجل الدماء ورجل بليعال. قد ردّ الــرب عليك كل دماء بيت شاول الذى ملكت عوضاً عنه. وقد دفع الرب المملكة إلى يد أبشالوم أبنك" وكان يرشق داود بالحجارة" (٢صم١٦: ٥- ٨).

ولما حاول رجال داود أن يقتلوا شمعى بن جيرا، منعهم داود قائلاً: الرب قال له سبّ داود (٢صم١٦: ١٠). كان يعلم أن الأمر قد صدر من عند الرب كعقوبة له...

✠ ✠ ✠

٧ - بلــغ الأمــر مــن مذلة داود بسبب فتنة أبشالوم، أنه صعد جبل الزيتون باكياً ورأسه مغطى. وكان يمشى حافياً (٢صم١٥: ٣٠).

وكان جميع الشعب الذين معه يصعدون وهم يبكون. وكان داود يصرخ إلى الله ويقول "حمّق يارب مشورة أخيتوفل" (٢صم١٥: ٣١). كان يعرف عقلية الرجل ومدى دهائه وما يمكن أن يقدمه لأبشالوم من مشورة شريرة.

✠ ✠ ✠

٨ - وكــان مــن مشورة أخيتوفل لأبشالوم: أدخل إلى سرارى أَبيك اللواتى تركهن لحفظ البيت.." (٢صم١٦: ٢٠، ٢١).

وذلــك لكــى يعرف الشعب أنه قد صار مكروهاً من أبيه. فيتشدد الذين معه.. وفعل أبشالوم ذلك.

وكــان عــاراً وحــزناً لداود أن يسمع أن ابنه يزنى مع سرارى أبيه.. وكانت عقوبة بسماح من الله وجزءاً من آلام داود، أو كانت بعضاً من التخلى الجزئى الذى تعرض له..

✠ ✠ ✠

❖ **العجيــب أن الرب مع كثرة عقوباته لداود، مزجها أخيراً بلمسة حنان من عنده، وهو الذى "يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان" (أى٥: ١٨).**

❖ سمح بأن حوشاى الأركى أحد أصحاب داود المخلصين له، أن ينضم بخطة منه – إلى معسكر أبشالوم، لكى يبطل مشورة أخيتوفل (٢صم١٥: ٣٣، ٣٤). وحدث ذلك فعلاً. وقــدم أخيــتوفل مشــورة يمكن أن تهلك داود ورجاله. وقدم حوشاى مشورة أخرى. فى ظاهــرها اعتــبرها أبشالوم نافعة له، ولكنها كانت لإنقاذ داود. "وقال أبشالوم وكل رجال إســرائيل إن مشورة حوشاى الأركى أحسن من مشورة أخيتوفل" "فإن الرب أمر بإبطال مشورة أخيتوفل" (٢صم١٧: ١٤).

❖ حــدث أيضاً أن أخيتوفل، لما رأى مشورته لم يعمل بها "قام وأنطلق إلى بيته إلى

مدينـــته، وأوصى لبيته وخنق نفسه، ومات ودفن" (٢صم١٧: ٣). وهكذا كانت نهاية ذلك الخائن، مثال ما فعل يهوذا بنفسه.

✠ ✠ ✠

❖ مــن عطــف الله أيضــاً علــى داود، أنه انتصر فى حرب أبشالوم ضده. ومات أبشالوم. واشترك يوآب فى مقتله (٢صم١٤).

وبكــى داود علــى أبشالوم. وقال "يا ابنى أبشالوم. ليتنى متّ عوضاً عنك يا أبشالوم ابنى" (٢صم١٨: ٣٢).

بكى عليه داود من أجل حنان قلبه، وعمق عاطفة الأبوة عنده.. وبكى عليه أيضاً، لأنه عارف أن يد الله داخلة فى الموضوع. فلولا أن يد الرب كانت عليه، ما كان قد سمح أن أبشالوم يقف ضده، وكذلك شمعى بن جيرا، وأخيتوفل.

✠ ✠ ✠

المهم أن هذه المرحلة انتهت. وأتى الكل فاعتذروا إليه بعد مقتل أبشالوم.. كلهم بما فــيهم شــمعى بن جيرا، ومفيبوشث بن شاول، وعبده صيبا. ولم يسمح داود بمعاقبة أحد منهم كما أشار بعض رجاله عليه. وقال "هل اليوم يُقتل أحد فى إسرائيل؟! أما علمت أنى اليوم ملك على إسرائيل!!" (٢صم١٩: ٢٢).

✠ ✠ ✠

٩- على أنه قامت حروب ومشاكل أخرى ضد داود فى أواخر أيامه.

❖ ومن المشاكل أن شبع بن بكرى رجل بنيامينى، قام ضد داود وضرب بالبوق وقال "لــيس لنا قسم فى داود، ولا لنا نصيب فى ابن يسى. كل رجل إلى خيمته يا إسرائيل" (٢صم٢٢: ١). فصعد وراءه كل رجال إسرائيل...

❖ وانتهت مشكلة هذا الرجل بأنه حوصر فى آيل بواسطة يوآب قائد الجيش. وبتدخل امــرأة حكيمة انتهى الحصار بإلقاء رأس شبع بن بكرى من على السور. فضرب يوآب بالبوق، وانتهى الحصار.

✠ ✠ ✠

❖ ومــن المشاكل أيضاً جوع ثلاث سنوات بسبب مشكلة الجبعونيين وما كان قد فعله بهم شاول الملك. وانتهى الأمر – فى مصالحتهم – أن قدم لهم داود سبعة من أسرة شاول فصــلبوهم. وكان منهم الخمسة الذين ولدتهم ميكال لعدرئيل بن برزلاى الذى زوجوها له فى حياة داود (٢صم٢١: ١- ٩).

❖ كذلك قامت بعض حروب صغيرة وانتهت (٢صم٢١: ١٥- ٢١).

✠ ✠ ✠

١٠ - نقطة أخرى فى التخلى، هى ضعفه جسدياً.

فى إحدى تلك الحروب الصغيرة، خرج داود إلى الحرب مع عبيده. فأصابه الإعياء. وكاد أحد الأعداء أن يقتله، لولا أن تدخل ابيشاى بن صرويه فأنقذه. "حينئذ حلف رجال داود قائلين: لا تخرج أيضاً معنا إلى الحرب. ولا تطفئ سراج إسرائيل" (٢صم٢١: ١٥- ١٧).

انتهت الأيام التى قيل عنه فيها من صغره إنه "جبار بأس، ورجل حرب" (١صم١٦: ١٨).

الأيام التى قتل فيها الأسد والدب لينقذ شاة له (١صم١٧: ٣٤- ٣٦). والتى قتل فيها جليات الجبار وقطع رأسه (١صم١٧: ٥١). وانتهت الأيام التى استطاع فيها مع رجاله أن يقتل مئتى رجل من الغلف، ليقدم بذلك مهراً فى زواجه من ميكال ابنة الملك (١صم ١٨: ٢٧).

الآن أصابه الإعياء، فسقط فى الحرب وكاد يموت!!

نقاط ضعف

وكما ضعف داود فى جسده، كانت له نقاط ضعف أخرى، من جهة نفسيته، وضعفه فى اتخاذ قرار قوى حازم. ولهذا أمثلة.

❖ **لقد ضعف أمام ابنه أمنون.** فلم يأخذ موقفاً ضده حينما اغتصب أخته ثامار (٢صم ١٣). وبذلك ترك الفرصة لأبشالوم لكى ينتقم لأخته ويقتل أمنون.

❖ **ضعف أيضاً أمام أبشالوم** لما قتل أمنون أخاه، ولم يأخذ موقفاً حازماً منه. كذلك ضعف أمام أبشالوم لما بدأ يعصاه، ولما أتخذ لنفسه خيلاً ومركبات. ولما أثار الشعب وأقام حرباً ضده.

أخيراً كان لابد أن يخوض الحرب حفاظاً على ملكه. ولكنه مع ذلك قال لرجاله فى الحرب "ترفقوا بالفتى أبشالوم" (٢صم١٨: ٥).

✠ ✠ ✠

❖ **ضعف داود كثيراً أمام يوآب بن صرويه رئيس الجيش.**

ضعف أمامه لما قتل أبنير رئيس جيش إسرائيل. وقال لعبيده: ألا تعلمون أن رئيساً

ضربه، بعد أن أتم الخطيئة، ونفذ غرضه! للأسف، أحياناً يأتى تأنيب الضمير متأخراً بعد فوات الفرصة. يلقى عليه الشيطان ضباباً، فلا يفيق إلا بعد أن يخطئ!

علـــى أيـــة الحالات حسن أن يفيق الضمير ولو متأخراً، أفضل من أنه لا يفيق على الإطلاق.

وهكذا قال داود للرب "لقد أخطأت جداً فى ما فعلت" "قد انحمقت جداً" (٢صم٢٤: ١٠) "إنى قد سفهت جداً" (١أى٢١: ٨). وقال للرب "والآن يارب، أزِل إثم عبدك".

✠ ✠ ✠

والله كان مستعداً أن يزيل إثم داود، ولكن مع عقوبة.

أحـــياناً المغفرة بدون عقوبة، لا تشعر الخاطئ بمقدار عمق خطيئته. وهذه مرة أخرى يعاقـــب فـــيها الرب داود عبده.. حتى فى المرة السابقة – لما اعترف بخطيئته – قال له ناثان النبى "والرب نقل عنك خطيئتك. لا تموت" (٢صم١٢: ١٣). ومع ذلك بقيت العقوبة الأرضية..

وأرسل الرب جاد النبى يخيّره بين ثلاث عقوبات: إما سبع سنى جوع فى أرضه، أو يهـــرب ثلاثة أشهر أمام أعدائه، أو يكون ثلاثة أيام وبأ فى الأرض. فقال داود لجاد النبى عبارته المشهورة "قد ضاق بى الأمر جداً. **أقع فى يد الله – لأن مراحمه كثيرة . ولا أقع فى يد إنسان" (٢صم٢٤: ١٤).**

وأمر الرب فوقع وباء فأهلك من إسرائيل سبعين ألفاً.

وصـــرخ داود إلى الرب "ها أنا أخطأت وأنا أذنبت. وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا. لتكن يدك علىّ وعلى بيت أبى".

كـــان ملاك الرب باسطاً يده على أورشليم ليهلكها. فقال له الرب "كفى الآن ردّ يدك" (٢صم٢٤: ١٦). كان الرب قد سمع صرخة داود فاستجاب له، حتى وهو فى حالة خطية!

✠ ✠ ✠

وكـــان المـــلاك واقفـــاً عند بيدر أرونه اليبوسى حيث عزم داود أن يقيم مذبحاً للرب ويصعد محرقات للرب لتكف الضربة عن الشعب...

وأراد أن يشـــترى البيدر، فقال له أرونه اليبوسى "ليأخذه سيدى الملك: البقر للمحرقة، والنوارج وأدوات البقر حطباً. لك أعطيت الكل. ولكن داود فى حكمته قال "لا. بل اشتريه منك. **لأنى لا أستطيع أن أصعد للرب محرقة مجانية"** (٢صم٢٤: ٢٢- ٢٤).

وانتهـــت قصـــة عدّ الشعب: خطيئتها وعقوبتها، وتوبتها ومغفرتها.. ولكنها تركت لنا بعضاً من الذكريات والتأملات.

١ – أن كل إنسان معرض للخطية مهما بلغت قداسته.

٢ – أن النفوس البارة الحساسة، إذا أخطأت ترجع إلى ذاتها وتتوب بسرعة.

٣ – أن الله يمكن أن يغفر، ومع ذلك يعاقب.

٤ – أن الله فى وسط عقوبته، يحنّ ولا يكملها.

٥ – أننا لا نقدم للرب ذبيحة مجانية.

٦ – إن الوقوع فى يد الله أخف من الوقوع فى أيدى البشر.

الإعـداد لبنـاء الهيكَـل

كان داود يريد أن يبنى بيتاً للرب، والرب لم يسمح له.

قـــال داود الملك لناثان النبى "أنظر إنى ساكن فى بيت من أرز، وتابوت الله ساكن فى شـــقق" (٢صـــم٧: ٢). وعرض ناثان الأمر على الله، فأعطاه رسالة يبلغها لداود وهى: "..مـــتى كملـــت أيـــامك وأضطجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبـــت مملكـــته [لم يكن سليمان قد ولد وقتذاك]. هو يبنى بيتاً لأسمى. وأنا أثبت كرسى مملكـــته إلى الأبد. أنا أكون له أباً، وهو يكون لى إبناً. إن تعوّج أؤدبه بقضيب الإنسان. ولكن لا أنزع رحمتى منه" (٢صم٧: ١٢– ١٥).

✠ ✠ ✠

وداود لم يحزن لأن الرب منعه من بناء بيته بل شكر الرب.

كانـــت نظرته موضوعية وليست شخصية. وكانت محبته لذلك الابن أكثر من محبته لنفسه. فقال للرب "من أنا يا سيد الرب، وما هو بيتى حتى أرسلتنى إلى هنا.. قد عظمت أيهـــا السيد الرب الإله، لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك.. والآن أيها الرب الإله، أقم إلى الأبد الكلام الذى تكلمت به عن عبدك وعن بيته. وافعل كما تكلمت" (٢صم٧: ١٨–٢٥).

✠ ✠ ✠

❖ **ولم يكتفِ داود بهذا بل فيما بعد أعلم سليمان بالأمر.**

دعاه، وأوصاه أن يبنى بيتاً للرب وقال له "يا ابنى، قد كان فى قلبى أن أبنى بيتاً لاسم الرب إلهى. فكان إلىّ كلام الرب قائلاً: قد سفكت دماً كثيراً، وعملت حروباً عظيمة. فلا تبـــنى بيتاً لإسمى، لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامى. هوذا يولد لك ابن يكون

صـــاحب راحة، وأريحه من جميع أعدائه حواليه. لأن اسمه يكون سليمان.. هو يبنى بيتاً لاســمى. وهو يكون لى ابناً، وأكون له أباً.. الآن يا ابنى يكون الرب معك، فتفلح وتبنى بيت الرب.." (١أى٢٢: ٦- ١١).

✠ ✠ ✠

❖ **وبالإضافة إلى هذا أعدّ داود كل ما يلزم للبيت:**

فقـــال لســـليمان "وهأنذا فى مذلتى هيأت لبيت الرب ذهباً مئة ألف وزنة، وفضة ألف ألـــف وزنـــة، ونحاساً وحديداً بلا وزن لأنه كثير. وقد هيأت خشباً وحجارة فتزيد عليها. وعـــندك كثـــير من عاملى الشغل نحاتين وبنائين ونجارين وكل حكيم فى كل عمل.. قم واعمل وليكن الرب معك". وأمر داود جميع رؤساء إسرائيل أن يساعدوا سليمان ابنه (١ أى٢٢: ١٤- ١٧).

✠ ✠ ✠

❖ **ولم يكتفِ بهذا، بل دعا الشعب إلى الانتداب (إلى التبرع).**

"وفرح الشعب بانتدابهم. لأنهم بقلب كامل انتدبوا للرب. وداود الملك أيضاً فرح فرحاً عظيماً. وبارك الرب.." (١أى٢٩: ٩، ١٠).

قـــال "مـــن أنا وشعبى حتى ننتدب هكذا. **لأن منك الجميع، ومن يدك أعطيناك..** أيها الـــرب إلهنا، كل هذه الثروة التى هيأناها لنبنى لك بيتاً لاسم قدسك، إنما هى من يدك ولك الكل" (١أى٢٩: ١٤- ١٦).

❖ **وأمر داود فُذبحت ذبائح ومحرقات للرب :**

ذبحـــوا فـــى ذلك اليوم ألف ثور، وألف كبش، وألف خروف.. وذبائح كثيرة. وأكلوا وشربوا أمام الرب بفرح عظيم.

تعيـين سُليمَـان مَلِكاً

كان داود قد شاخ، وفقد جسده حرارته .

مـــع أنه كان لم يبلغ السبعين بعد. إذ قد مات فى سن السبعين "وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ. فاختاروا حاضنة للملك تعطيه دفأً فى جسده، هى أبيشج الشونمية. وكانت تخدمه ولم يعرفها، مع أنها كانت تعتبر زوجة له (١مل١: ١- ٤).

✠ ✠ ✠

وانتهز أدونيا بن جحيث شيخوخة أبيه فأعلن نفسه ملكاً.

قال أنا أملك. وأعد لنفسه عجلات وفرساناً وخمسين رجلاً يجرون أمامه. ولم يغضبه

أبـــوه قط قائلاً لماذا فعلت هذا (١مل١: ٥- ٦) وأعانه على ذلك يوآب، وأبياثار الكاهن. وذبح ذبائح كثيرة. ودعا جميع أخوته بنى الملك وجميع رجال يهوذا...

ولم يسترح لهذا ناثان النبى، ولا بناياهو بن يهوياداع القائد، ولا صادوق الكاهن. وتم الاتفاق مع بثشبع أم سليمان أن تدخل إلى الملك وتخبره بأن أدونيا أعلن نفسه ملكاً، وهو لا يدرى.

ودخلت بثشبع عند داود، وقد شاخ جداً، وسجدت أمامه وقالت له "أنت يا سيدى الملك حلفـت لأمتك بالرب إلهك أن سليمان ابنك يملك بعدى ويجلس على كرسيّ. والآن هوذا أدونيا قد ملك وأنت يا سيدى الملك لا تعلم". وبعد بثشبع دخل ناثان النبى وصادوق الكاهن وسجدا للملك، وصدّقا على كلامها.

فحلف داود الملك لبثشبع أنه ينفذ وعده لها اليوم.

✠ ✠ ✠

كان داود قد شاخ، ولكن عزيمته لم تشخ.

فأمـــر ناثان النبى وصادوق الكاهن وبناياهو بن يهوياداع أن يأخذوا سليمان، ويركبوه علـــى بغلة أبيه، ويمسحه صادوق الكاهن فى جيحون. فمسحوه ملكاً وعادوا فأجلسه داود النـبى علـــى كرسيه. وقال داود "مبارك الرب إله إسرائيل الذى أعطانى اليوم من يجلس علـــى كرســـى، وعيناى تبصران" (١مل١: ٤٨). وخاف أنصار أدونيا وهربوا. وخاف أدونيا وأمسك بقرون المذبح...

✠ ✠ ✠

وأوصى داود سليمان ابنه قائلاً.

"أنـــا مـــاضٍ فى طريق الأرض كلها. فتشدد وتشجع وكن رجلاً واحفظ شرائع الرب إلهك" (١مل٢: ١، ٢). وأوصاه من جهة يوآب بن صرويه أن لا تنزل شيبته إلى الهاوية بســـلام. لأنه سفك دماً بريئاً: دم أبنير، ودم عماسا. ونفس الوصية بالنسبة إلى شمعى بن جيرا. وترك الأمر لحكمة سليمان.

وهنا لعلنا نعجب: لماذا أمر داود بقتل هذين؟

داود كشخص كان يمكن أن يغفر لمن أخطأ إليه.

لكنه كملك كان ينبغى أن ينفذ شريعة الله فى المخطئين.

وما لم يفعله فى حياته، أوصى به عند موته.

كلمـات خـالـدة

كلماته الخالدة لا تحصى، ننتقى منها الآتى :

❖ **"الحرب للرب" (١صم١٧: ٤٧).**

قالها وهو يتقدم لمحاربة جليات، معتمداً على قوة الله وحده .

✠ ✠ ✠

❖ **أقــع فى يد الله – لأن مراحمه واسعة – ولا أقع فى يد إنسان (٢صم٢٤: ١٤)**

قالها لما عرض عليه جاد الرائى ثلاث عقوبات من الله، بعد أن عدّ الشعب.

✠ ✠ ✠

❖ **لا أستطيع أن أقدم للرب محرقة مجانية (٢صم٢٤: ٢٤).**

قالها لأرونه اليبوسى، حينما أراد أن يقدم له الذبائح هبه.

✠ ✠ ✠

❖ **منك الجميع، ومن يدك أعطيناك (١أى٢٩: ١٤).**

قالها للرب لما تبرع هو وشعبه لبناء الهيكل.

✠ ✠ ✠

❖ **لا أشرب دم هؤلاء الرجال الذين خاطروا بحياتهم (٢صم٢٢: ١٧).** قالها حينما رفض شرب ماء أحضره الأبطال بكسر حصار العدو.

الباب السابع

مزامير داود النبي

دَاوُد

مزامير داود يمكن أن توضع فيها كتب. يكفي أنها :

صدرت من شخصية داود الروحانية، التى امتدحها الرب .

فقال عنه " وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبى، يصنع كل مشيئتى" (أع١٣: ٢٢). ولما سقط سليمان بن داود إذ أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، قال عنه الكتاب " لم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه، كقلب داود أبيه" (١مل١١: ٤) .

صاحب هذا القلب الكامل، هو الذى كتب المزامير، من كل قلبه (مز١١٩: ١٠) .. حقاً كانت لداود أخطاء. ولكنه كان يحب الله على الرغم من أخطائه. وكان من النوع الذى إذا سقط، ما أسرع أن يقوم. وإذا أخطأ، يتوب بكل انسحاق قلب .

✠ ✠ ✠

مزامير تمثل الحياة كلها، بكل ما فيها من مشاعر .

وتمثل الحياة بما فيها من ظروف ومن أحداث .. كل إنسان يجد فيها مرآة تعطى صورة لحياته ...

ومزامير داود هى موسيقى وغناء ...

موسيقى وغناء

كان داود موسيقاراً، يعزف صلواته بالمزمار، وبالقيثار (مز٨) وبالعشرة أوتار (مز٦، ٥٤). وكان يحسن الضرب بالعود (١صم١٦: ١٧، ١٨)، ويعزف على ذوات النفخ (مز٥).

وأحياناً كان يغنى مزاميره، ومعه فرقة موسيقية كبيرة من عشرات الموسيقيين يقودهم هيمان أو آساف. وحينما يريد أن يغير النغمة، يقول (سلاه). فيتوقف العزف ثم يبدأ من جديد..

✠ ✠ ✠

تصوروا إنساناً يصلى وهو يغنى، أو يغنى وهو يصلى.

صلاة بكل مشاعره، ممتزجة بهزات عوده، وبهزات قلبه. بل هو يدعو الناس ويقول "سبحوا الرب تسبيحاً جديداً" وفى بعض الترجمات "غنوا للرب أغنية جديدة" أو "رنموا للرب ترنيمة جديدة". (مز٩٦: ١) (مز٩٨: ١) أو يقول "غنوا للرب ترنيمة جديدة" (مز ١٤٩: ١). "غنوا له، رنموا له، انشدوا بكل عجائبه" (مز١٠٥: ٢).

ويقول فى موسيقاه " احمدوا الرب بالعود، بربابة ذات عشرة أوتار. رنموا له. غنوا له أغنية جديدة. احسنوا العزف بهتاف. لأن كلمة الرب مستقيمة" (مز٣٣: ٢- ٤) ... "غنوا لله، رنموا لاسمه" (مز٦٨: ٤) " يا ممالك الأرض، غنوا لله، رنموا" (مز٦٨: ٣٣) "اهتفى للرب يا كل الأرض. اهتفوا ورنموا وغنوا" (مز٩٨: ٤) .

إنه إنسان يغنى، ويدعو كل الناس أن يغنوا معه .

وهو فى كل ذلك يغنى للرب، ويدعوهم أن يغنوا للرب .. كل مشاعره يقدمها للرب. وعندما رقص أمام تابوت العهد، قيل عنه إنه " رقص أمام الرب " (٢صم٦: ١٦) .

✠ ✠ ✠

إنه يعطينا فكرة عن الصلاة التى بلحن .

لها تأثيرها بلاشك. وهكذا صلاة القداس عندنا بلحن. وكذلك الإبصلمودية (التسبحة) هى بلحن أيضاً. وقراءة الإنجيل ملحنة كذلك. وما أكثر الألحان فى كنيستنا وفى كل الكنائس، وكذلك التراتيل والترانيم. كلها لها موسيقى وألحان .

وقديماً كانت مزامير داود كلها ترتلها الكنيسة باللحن، كما فى هوسات التسبحة (مز ١٤٨، مز١٤٩). ما أعظم تأثير الصلاة المصاحبة بلحن أو موسيقى .

مزامير داود

هى جزء من كتاب الله، من وحيه، من كلام الله .

لذلك عندما أفحم الرب كتبة اليهود بقول المزمور "قال الرب لربى: أجلس عن يمينى، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك" (مز١١٠: ١)، وهذه نبوءة عن السيد المسيح، قال لهم عن ذلك "إن داود نفسه قال بالروح القدس " (مر١٢: ٣٦، ٣٧) .

لذلك حينما نصلى بالمزامير، إنما نخاطب الله بالكلام الذى أوحى الله به .

وبهذا نثق أن صلواتنا تكون حسب مشيئة الله، لأن المزامير قيلت بالروح القدس،

بروح الله ...

✠ ✠ ✠

وقد استخدمت المزامير فى الصلاة العامة، فى العهد القديم كما فى العهد الجديد. ولذلك حفظ المصلون الكثير منها .

ففى العهد القديم، كانوا يرتلون المزامير وهم صاعدون إلى الهيكل ليصلوا، لكى يمهدوا عقولهم للصلاة بترتيل المزامير، كما يفرش الكاهن المذبح، قبل الصلاة عليه. وكانت تلك المزامير تسمى (مزامير المصاعد) كما فى المزامير من ١٢٠ إلى ١٣٤ .

وفى زمن الآباء الرسل، كانوا يصلون المزامير فى الكنائس.

فالقديس بولس الرسول يقول "متى اجتمعتم فكل واحد له مزمور.." (١كو١٤: ٢٦). ويقول أيضاً "بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب" (أف٥: ١٩). ويكرر نفس الكلام فى (كو٣: ١٦) .

وحينما كان بولس الرسول فى أنطاكية بيسيدية يكرز بالسيد المسيح، استخدم نبوءتين فى المزامير عن السيد المسيح، فقال "كما هو مكتوب فى المزمور الثانى : أنت ابنى، أنا اليوم ولدتك .. وفى مزمور آخر (مز١٦: ١٠) لن تدع قدوسك يرى فساداً " (أع١٣: ٣٣ ، ٣٥) .

والقديس بطرس فى يوم الخمسين استخدم نبوءة فى المزامير عن يهوذا الأسخريوطى، فقال " لأنه مكتوب فى المزامير : لتصر داره خراباً، ولا يكن فيها ساكن، وليأخذ وظيفته آخر" (أع١: ٢٠) (مز٦٩: ٢٥) (مز١٠٩: ٨) .

✠ ✠ ✠

والسيد المسيح استشهد بالمزامير، وذكر أنها تنبأت عنه .

وهكذا عندما ظهر للتلاميذ بعد القيامة، قال لهم : " إنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير" (لو٢٤: ٤٤) ...

إن نبوءات المزامير عن السيد المسيح كثيرة جداً. وكمثال لها المزمور ٢٢ الذى تحدث عن آلامه. وقال فيه داود عن المسيح "ثقبوا يدى ورجلىّ، وأحصوا كل عظامى .. يقسمون ثيابى بينهم، وعلى قميصى يقترعون " (مز٢٢: ١٦ – ١٨) .

وما أسهل تتبع ما ورد من نبوات عن المسيح فى كتاب المزامير، نرتل كثيراً منها فى أسبوع الآلام (البصخة المقدسة) .

✠ ✠ ✠

المزامير لا يستغنى إنسان عنها فى صلواته، مهما ارتفعت روحياته .

وفى أصلها كانت شعراً، وكانت تصحبها الموسيقى، كما ورد فى مزمور ١٥٠ "سبحوا الله فى قدسه.. سبحوه على كثرة عظمته.. سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار.. سبحوه بصنوج الهتاف..". وفى مزمور ١٤٩ يقول "سبحوا بدف وعود " .

موضوعات المزامير كثيرة جداً. ولنبدأ بما فيها عن الصلاة :

✠ ✠ ✠

الصلاة

داود فى مزاميره، يقدم لنا مثالاً للصلاة فى كل وقت .

فهو يصلى "عشية وباكر ووقت الظهر، ويقول لله عن صلاة باكر " باكر يارب تسمع صوتى. باكر أقف أمامك وترانى" (مز٥). وفى بعض الترجمات (بالغداة). ولكنها فى الترجمة الإنجليزية in the morning. وعلى أية الحالات ما أجمل قوله :

"يا الله أنت إلهى. إليك أبكر. عطشت نفسى إليك"(مز٦٣: ١).

هذا العطش إلى الله، يعنى الشوق إليه. وهذا ما يكرره أيضاً فى مزمور ٤٢ فيقول : "كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله. عطشت نفسى إلى الله، إلى الإله الحى. متى أجئ وأتراءى قدام الله .. " .

إنها صلاة مشاعر، وليست مجرد واجب يؤديه، بل إنه يقول للرب فى صلاته، ويقول عن صلاته : " هكذا أباركك فى حياتى. باسمك ارفع يدىّ، فتشبع نفسى كما من لحم ودسم. بشفاه الابتهاج يسبحك فمى" (مز٦٣: ٤، ٥) .

✠ ✠ ✠

وداود فى مزاميره : كما يبدأ اليوم بالصلاة، يستمر يومه فى الصلاة ... ويقول للرب فى ذلك :

" سبع مرات فى النهار، سبحتك على أحكام عدلك" (مز١١٩: ١٦٤) .

فهل تكفيه هذه المرات السبع فى النهار، التى ترمز إلى كل النهار، بل إنه يقول أيضاً "ذكرت فى الليل اسمك يارب، وحفظت شريعتك" (مز١١٩: ٥٥). فهل يذكره فى الليل، ثم يذهب لينام. كلا، بل إنه يقول " كنت أذكرك على فراشى، وفى أوقات الأسحار كنت أرتل لك " (مز٦٣) كلمة الأسحار تعنى الفجر. فهل كان ينام حتى الفجر (السحر) ثم يقوم

ليصلى؟ كلا، بل إنه يقول "سبقت عيناى وقت السحر (مز ١١٩: ١٤٨). أكان إذن يقوم قبل الفجر؟ بل قبل ذلك إذ يقول :

"فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك " (مز ١١٩: ٦٢) .

✠ ✠ ✠

متى إذن كان ينام داود ؟ وهو يقول إنه كان يصلى فى الليل، وعلى فراشه، وفى وقت الفجر، وقبل الفجر، وفى نصف الليل..

وإن كان هكذا طول الليل شبعان صلاة، فكيف يقول إذن للرب "..إليك أبكر. عطشت نفسى إليك. باكراً تسمع صوتى. متى أقف وأتراءى أمام الرب ؟

إنه بلاشك درس فى الصلاة، وفى التسبيح والاشتياق إلى الله .

✠ ✠ ✠

وهو ليس فقط يصلى ويسبح، بل يدعو الكل إلى الصلاة والتسبيح .

فهو يقول " سبحوا الرب أيها الفتيان، سبحوا اسم الرب.. من مشارق الشمس إلى مغاربها، باركوا اسم الرب" (مز ١١٣: ١- ٣) "ها باركوا الرب يا عبيد الرب، القائمين فى بيت الرب، فى ديار إلهنا. فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب.." (مز ١٣٤: ١، ٢) .

بل هو يدعو جميع خليقة الله الناطقة، وجميع الملائكة، إلى التسبيح .

فيقول : باركوا الرب يا ملائكته، المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه. باركوا الرب يا جميع جنوده العاملين مرضاته. باركوا الرب يا جميع أعماله، فى كل مواضع سلطانه. باركى يا نفسى الرب" (مز ١٠٣: ٢٠ - ٢٢) .

✠ ✠ ✠

بل هو يدعو الطبيعة الجامدة غير الناطقة أن تسبح الرب أيضاً

فيقول: سبحوا الرب من السموات، سبحوه فى الأعالى.. سبحيه يا أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا جميع كواكب النور. سبحيه يا سماء السموات، ويا أيتها المياه التى فوق السموات.. سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج، النار والبرد، الثلج والضباب.. الريح العاصفة الصانعة كلمته. الجبال وكل الآكام. الشجر المثمر وكل الأرز.." (مز ١٤٨: ١- ٩).

مجرد وجود الطبيعة، يعطى تسبحة للرب. كما قال : **"السموات تحدث بمجد الله،**

والفلك يخبر بعمل يديه" (مز ١٩: ١) .

✠ ✠ ✠

وجود هذه الطبيعة، وجمالها، ونظام عملها، يعطى فكرة عن قدرة الله، ويقود إلى تسبيحه. فكأن الطبيعة تسبحه بطريقة غير مباشرة. وداود النبى يدعوها إلى الاشتراك فى هذه السيمفونية العجيبة التى تسبح الرب، يشترك فى ذلك الملائكة والبشر، وكل خليقة الله غير الناطقة، بل والطبيعة الجامدة أيضاً .

من حب داود لله، يدعو كل الخليقة إلى الاشتراك معه فى تسبيحه .

وهو يجعل كل ذلك مجالاً لتأمله ...

التأمل

فهو يقول عن الشمس مثلاً "جعل فى الشمس مظلته. وهى مثل العروس الخارج من خدره. تتهلل مثل الجبار الذى يسرع فى طريقه. من اقصى السماء خروجها، ومنتهاها إلى أقصى السماء، ولاشئ يختفى من حرارتها " (مز١٩) .

وهو يتأمل هذه الأجرام السمائية فى تمجيدها لله بعملها. فيقول " يوم إلى يوم يبدى قولاً. وليل إلى ليل يظهر علماً. الذين لا قول لهم ولا كلام، ولا تُسمع أصواتهم، فى الأرض خرج منطقهم، وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم " (مز١٩). ولعل فى هذه العبارات الأخيرة من مزمور يتنبأ على الآباء الرسل تلاميذ المسيح، الذين لم يكونوا أصحاب كلام، ومع ذلك إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم..

وهو يرى بتأمله عجباً فى خليقة الله، يقول فى المزمور الثامن " أيها الرب ربنا، ما أعجب اسمك فى الأرض كلها.. لأنى أرى السموات أعمال أصابعك، القمر والنجوم أنت أسستها. من هو الإنسان حتى تذكره؟ .. على أعمال يديك أقمته. أخضعت كل شئ تحت قدميه .. أيها الرب ربنا، ما أعجب اسمك على الأرض كلها".

الخشوع

محبة داود لله، وعطشه إليه، يمتزج أيضاً بخشوعه ،

فيقول : "أما أنا فبكثرة رحمتك، أدخل إلى بيتك، وأسجد قدام قدسك بمخافتك" (مز٥: ٧). وهو هنا يعترف بعدم استحقاقه الدخول إلى بيت الرب. إنما هى رحمة الله التى سمحت له بذلك. لذلك يدخل فى مخافة، ويسجد أمام الرب خاشعاً .

وهو فى خشوعه، يدعو الناس أيضاً إلى هذا الخشوع، وكذلك الطبيعة .

فيقول " الرب قد ملك، فلترتعد الشعوب. الجالس على الشاروبيم فتلزلزل الأرض .. اسجدوا لموطئ قدميه فإنه قدوس ... مرهوب وقدوس" (مز٩٩).. "اسجدوا لله يا جميع ملائكته" "نظرت الأرض فتزلزلت. ذابت الجبال مثل الشمع من قدام وجه الرب، ومن قدام وجه سيد الرب كلها" (مز٩٧) .

وهو يصرخ ويقول "اسجدوا للرب فى دياره المقدسة" (مز٩٥).

الشعور بالإستجابة

داود فى مزاميره، فيما هو يطلب، يشعر باستجابة الرب له، بل يتغنى أحياناً بهذه الإستجابة .

✠ فهو يقول فى المزمور الثالث "بصوتى إلى الرب صرخت، **فاستجاب لى** من جبل قدسه". وتتكرر عبارة الإستجابة فى مزاميره.

فيقول فى المزمور الرابع "إذ دعوت، استجبت لى يا إله برى. فى الشدة فرّجت عنى" "الرب قد جعل صفيّه عجباً. الرب يستجيب لى إذا ما صرخت إليه". ويتغنى بهذه الإستجابة فى نفس المزمور فيقول "قد أضاء علينا نور وجهك يارب .أعطيت سروراً لقلبى".

✠ ويقول أيضاً فى مز ١١٧ (١١٨) "فى ضيقتى صرخت إلى الرب فاستجاب لى، وأخرجنى إلى الرحب" .

✠ ✠ ✠

✠ وفى المزمور السادس فيما يقول " ارحمنى يارب فإنى ضعيف. اشفنى يارب، فإن عظامى قد أضطربت، ونفسى قد أنزعجت جداً " .. يشعر فى نفس المزمور بالإستجابة، فيقول فى آخره " ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم. لأن **الرب قد سمع بكائى.** الرب سمع تضرعى. **الرب لصلاتى قبل**". ويفرح بهذا كأنه قد تم فعلاً، فيختم مزموره بقوله " فليخزَ وليضطرب جداً جميع أعدائى، وليرتدوا إلى ورائهم بالخزى سريعاً جداً. هللويا" .

✠ وفى المزمور الحادى عشر، يبدأ بصراخ إلى الرب قائلاً "خَلصنى يارب فإن البار قد فنى، وقلّت الأمانة من بنى البشر" .. ثم يشعر بالإستجابة فيقول "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين، **الآن أقوم – يقول الرب – أصنع الخلاص علانية .**

✠ وفى المزمور الثانى عشر، يعاتب الرب قائلاً "إلى متى يارب تنسانى، إلى الإنقضاء؟! حتى متى تحجب وجهك عنى.." ولكنه سرعان ما يشعر بالإستجابة، وبخلاص الرب... فيقول "أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبى بخلاصك. اسبح الرب المحسن إلىّ، وارتل لإسم الرب العالى، هللويا" .

✠ ✠ ✠

✠ ما أعجب هذا، إنسان يبدأ وكأنه يشعر بالتخلى .. وينتهى إلى الإبتهاج بخلاص الرب، والتسبيح بإحسانه، والترتيل والتهليل...

✠ إنه متأكد تماماً أن أذن الرب قريبة من شفتيه، وقلب الرب يستجيب لتضرعه .. ويتغنى باستجابة الرب، فيما هو يطلب ...

✠ وفى المزمور الخامس عشر، يبدأ بقوله " احفظنى يارب، فإنى عليك توكلت" .. ثم يشعر بالاستجابة فيقول " فرأيت الرب أمامى فى كل حين، لأنه عن يمينى لكى لا أتزعزع " .

✠ إنه الإيمان القوى، الذى يشعره بأن الرب قد استجاب .

✠ والشعور بالاستجابة يرتكز على دعامة أخرى، وهى الرجاء بالرب .

الرَجَاء بالربّ

✠ فهو يقول للرب "لا تخزنى إلى الأبد، ولا تشمت بى أعدائى. لأن جميع الذين ينتظرونك لا يخزون" (مز ٢٤). " لا أخزى لأنى عليك توكلت" (مز ٢٤) ..

✠ ويقول للرب أيضاً "لا تسلمنى إلى مرام مضايقىّ .. أنا أؤمن أن أعاين خيرات الرب فى أرض الأحياء" (مز ٢٦) .

✠ وفى رجائه بالرب يقول "**إنى أسمع ما يتكلم به الرب.** لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه. خلاصه قريب من جميع خائفيه " (مز ٨٤) .

عجيبة هى عبارة "إنى أسمع ما يتكلم به الرب". يسمع هذا بقلبه. وما يسمعه هو ملء الرجاء : الرب يتكلم بالسلام لشعبه .. وخلاصه قريب .

✠ ✠ ✠

✠ وله مزامير كلها رجاء، وكلها دعاء .

منها المزمور ٩٠ (٩١) الذى يقول فيه "الساكن فى ستر العلى، فى ظل القدير يبيت

". كله عبارات تطمئن النفس وتملؤها رجاء. منها "تحت جناحيه تعتصم.. فلا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير فى النهار، ولا من أمر يسلك فى الظلمة، ولا من سقطة وشيطان الظهيرة. يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات. وأما أنت فلا يقتربون إليك. بل بعينيك تتأمل، ومجازاة الخطاة تبصر". وأيضاً "يوصى ملائكته بك ليحفظوك فى سائر طرقك. وعلى أيديهم يحملونك. فلا تعثر بحجر رجلك ".

✠ ومن مزامير الرجاء والدعاء أيضاً، المزمور ١٢٠ (١٢١)، حيث يقول :

"الرب يحفظك. الرب يظلل على يدك اليمنى. فلا تخرقك الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل. الرب يحفظك من كل سوء. الرب يحفظ نفسك. الرب يحفظ دخولك وخروجك، من الآن وإلى الأبد .

✠ ✠ ✠

✠ إن داود فى مزاميره يعتمد على الله، لا على الناس .

فيقول فى المزمور ١١٧ (١١٨) "الرب لى معين، وأنا أرى بأعدائى. الإتكال على الرب خير من الإتكال على البشر، الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء " .

لذلك هو - فى نفس المزمور - يتغنى بعمل الرب معه .

فيقول " قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً " .

" صوت التهليل والخلاص فى مساكن الأبرار " .

" يمين الرب صنعت قوة، يمن الرب رفعتنى، فلن أموت بعد بل أحيا، وأحدث بأعمال الرب" .

✠ ✠ ✠

وداود فى وسط الضيقات، يتذكر خلاص الرب .

فهو يذكر المتاعب والضيقات، ولكنه - فى رجاء - يذكر معها معونة الرب أيضاً. لذلك فهو يقول "كثيرة هى أحزان الصديقين" ولكنه يكملها بقوله " ومن جميعها ينجيهم الرب" مز٣٣ (٣٤). وحينما يقول "على ظهرى جلدنى الخطاة وأطالوا إثمهم، يكملها بقوله "الرب صديق هو يقطع أعناق الخطاة" مز١٢٨ (١٢٩). وفيما يقول "عجيبة هى أهوال البحر"، يقول بعدها مباشرة " الرب فى الأعالى هو أقدر" مز٩٢(٩٣) .

مَحبته لبيت الله

إن داود فى مزاميره، يظهر محبته لبيت الله، وللمواضع المقدسة .

✠فيقول "مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات. تشتاق وتذوب نفسى للدخول إلى ديار الرب. قلبى وجسمى قد أبتهجا بالإله الحى. لأن العصفور وجد له بيتاً، واليمامة عشاً تضع فيها أفراخها، مذابحك أيها الرب إله القوات " (مز٨٣ (٨٣) .

✠ لذلك هو يبتهج بالسكنى فى بيت الرب. فيقول فى نفس المزمور "طوبى لكل السكان فى بيتك، يباركونك إلى الأبد" ..٨٣ (٨٤) .

✠ إن داود الملك، ساكن القصور، يقول فى عجب "اخترت لنفسى أن أطرح على عتبة بيت الله، أفضل من السكنى فى مظال الخطاة " " لأن يوماً صالحاً فى ديارك خير من آلاف " مز٨٣ (٨٤) .

ومما يجدر بالملاحظة أننا نستخدم الآيات التى وردت فى هذا المزمور٨٣(٨٤) فى صلوات تدشين المذبح الجديد فى الكنيسة .

✠ ✠ ✠

✠ ومع أن داود كان ملكاً، وكان له غنى وفير وعظمة فى مملكته، إلا أننا نراه فى مزاميره، يطلب طلبة تنقصه، وهى طلبة عزيزة على قلبه، فيقول :

" **واحدة طلبت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى" مز ٢٦ (٢٧) .**

وتسأله لماذا ؟ فيقول " لكى أنظر إلى نعيم الرب، وأتفرس فى هيكله" " طفت وذبحت فى مظلته ذبيحة التهليل. أسبح وأرتل للرب" مز٢٦ (٢٧) .

✠ ✠ ✠

✠ وهو يصلى إلى الرب ويقول " أرسل نورك وحقك فإنهما يهديياننى، ويصعداننى إلى جبلك المقدس، وإلى مسكنك. فأدخل إلى مذبح الله الذى يفرح شبابى. اعترف لك بالقيثارة يا الله إلهى" مز٤٢(٤٣) .

✠ ويقول " أسكن فى مسكنك إلى الدهر، واستظل بستر جناحيك .. هكذا أرتل لإسمك إلى دهر الدهور. لأفى نذورى يوماً فيوماً " مز٦٠(٦١) .

✠ ويقول أيضاً " **أغسل يدى بالنقاوة، وأطوف بمذبحك يارب.** لأسمع صوت

تسبحتك، وأنطق بجميع عجائبك. يارب أحببت جمال بيتك وموضع مسكن مجدك" مز٢٥(٢٦).

نلاحظ أن هذه الكلمات من المزمور، نصليها أيضاً فى طقس تدشين المذبح الجديد .. كما أن الكاهن يقول "اغسل يدى بالنقاوة.." قبل أن يقدّم الحمل فى القداس الإلهى .

✠ ✠ ✠

✠ ومن شغف داود ببيت الله، يقول فى مزاميره :

" فرحت بالقائلين لى: إلى بيت الرب نذهب " مز١٢١(١٢٢).

ثم يتحدث عن جمال أورشليم مدينة الله .. وهذا المزمور هو من مزامير المصاعد، التى كانوا يرتلونها فى العهد القديم، وهم صاعدون إلى بيت الله فى أورشليم. فيتغنون فى مزامير داود ببيت الله وبالمدينة المقدسة .

✠ فيقول داود " رفعت عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى" مز١٢٠ (١٢١). ويقول أيضاً "اساساته فى الجبال المقدسة. يحب الرب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب. أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله " مز٨٦(٨٧) .

✠ ويقول أيضاً "أوفى للرب نذورى، فى ديار الرب قدام كل شعبه، فى وسط أورشليم" مز١١٥ (١١٦) .

✠ ✠ ✠

✠ **وداود النبى فى مزاميره، يرى أن هناك شروطاً روحية للدخول إلى ديار الرب :**

✠ فيقول فى المزمور ١٤(١٥) : "يارب من يسكن فى مسكنك، أو من يحل فى جبل قدسك، إلا السالك بلا عيب، الفاعل البر، المتكلم بالحق فى قلبه، الذى لا يغش بلسانه، ولا يصنع بقريبه سوءاً، ولا يقبل عاراً على جيرانه... " .

وهذا المزمور من مزامير التعليم والإرشاد .

وبنفس الإرشاد يقول فى مز ٢٣ (٢٤) : "من يصعد إلى جبل الرب، أو من يقوم فى موضع قدسه: الطاهر اليدين، النقى القلب، الذى لم يحمل نفسه إلى الباطل، ولم يحلف بالغش .. هذا هو جيل الذين يطلبون الرب، ويبتغون وجه إله يعقوب " .

وهذا المزمور أيضاً من مزامير التعليم والإرشاد .

✠ ✠ ✠

✠ ولهذا كله يقول داود للرب فى مز ٩٢: **ببيتك تليق القداسة يارب طول الأيام** " .

ويقول أيضاً " مجارى الأنهار تفرح مدينة الله. لقد قدّس العلى مسكنه. والله وسطها فلن تتزعزع " مز٤٥ (٤٦) .

✠ ✠ ✠

ويرى داود فى مزاميره أن بيت الله، ينبغى أن يقابل بالإجلال والخشوع .

ويكرر نفس الكلام فى مز ٢٨ (٢٩) : اسجدوا للرب فى دار قدسه ". ويقول فى هذا المزمور أيضاً " فى هيكله المقدس كل واحد ينطق بالمجد ". ويقول أيضاً " فلندخل إلى مساكنه، ولنسجد فى الموضع الذى استقرت فيه قدماه " مز١٣١ (١٣٢) .

✠ **ويرى داود أن بيت الرب هو موضع للتسبيح .**

فيقول " ها باركوا الرب يا عبيد الرب، القائمين فى بيت الرب، فى ديار إلهنا. فى الليالى أرفعوا أيديكم أيها القديسون، وباركوا الرب" مز ١٣٣ (١٣٤) .

وقد اهتم داود ببناء بيت الرب .

فقال فى مز ١٣١ (١٣٢) " إنى لا أدخل إلى مسكن بيتى، ولا أصعد على سرير فراشى، ولا أعطى لعينى نوماً، ولا لأجفانى نعاساً، ولا راحة لصدغى، إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب " .

✠ ✠ ✠

✠ وهو فى مديحه لبيت الرب يقول :

" هذا هو باب الرب. والصديقون يدخلون فيه" مز١١٧(١١٨)

ويقول أيضاً بعدها "افتحوا لى أبواب البر، لأدخل فيها وأعترف للرب" وهاتان العبارتان، يقولهما البطريرك الجديد فى يوم سيامته، وهو داخل إلى الكنيسة .

✠ ويقول داود أيضاً فى مدح رجال الكهنوت، خدّام بيت الله (فى نفس هذا المزمور).

" كهنتك يلبسون البر، وأبرارك يبتهجون .

فهرست

صفحة





بسم الآب والابن والروح القدس

الإله الواحد آمين

تقرأ فى هذا الكتاب عن :

❖ شخصـــية داود ومواهـــبه المتعددة.

❖ داود وجليات .

❖ صراع شاول ضد داود .

نبل داود فى صراعه

نبل يوناثان مع داود

نهاية شاول

❖ محبة داود لأعدائه

بكاؤه على شاول وأسرته

بكاؤه على أبنير وأبشالوم

❖ أخطاء داود وخطاياه

العقوبة الإلهية والتخلى

❖ السنوات الأخيرة لداود

عد الشعب

إعداده لبناء الهيكل

تعيين سليمان ملكاً

❖ مزامير داود

البابا شنوده الثالث

